

بين الإعجاز البلاغي والإعجاز العلمي في سورة التكوير

Between Scientific Miracle And Rhetorical Miracle In Surat At-Takwir

د. جميلة السيد علي السيد زيدان

¹ جامعة طيبة (المملكة العربية السعودية)، mariam.alaa95@gmail.com

تاريخ النشر 2021 / 04 / 15	تاريخ القبول 2020 / 08 / 22 ..	تاريخ الارسال 2019 / 02 / 28
Abstract		الملخص
<p>Objectives:</p> <p>1- To link between the scientific facts and rhetorical miracle in the Surah so as to appear in a harmonious shape with a new model in the issue of miracle of the Quran.</p> <p>2- To confirm and support manner of the scientific miracle with the rhetorical manner in the Quran in a detailed practical, scientific, applied and systematic method and not overall method as in previous studies.</p> <p>3- To show that this area is the greatest and easiest way to call to Allah and appropriate in the modern era.</p> <p>Plan and Methodology of the Research:</p> <p>Researcher divided the research into an introduction in which she mentioned the objectives, methodology, plan, and followed by a preface in which she mentioned a sight about the miracle, the views of it and its scholars, and its old and recent writings, and then the research methodology, which is descriptive, analytical and inductive.</p> <p>Most important results:</p> <p>- Change of some concepts and definitions of old scientists after linking scientific facts, and rhetorical issues.</p> <p>- Adding evidences and examples for Arabic Quranic studies and rhetorical</p>		<p>الأهداف:</p> <p>1- أن يربط البحث بين الحقائق العلمية والإعجاز البلاغي في السورة بحيث تخرج في صورة منسجمة لقالب جديد في مسألة إعجاز القرآن.</p> <p>2- تأكيد وتأييد وجه الإعجاز العلمي مع الوجه البلاغي في القرآن بطريقة علمية عملية تطبيقية منهجية مفصلة وليس على طريق الإجمال كما في الدراسات السابقة.</p> <p>3- أن يبين البحث أن هذا المجال هو أعظم وأيسر طريق للدعوة إلى الله والمناسبة في العصر الحديث.</p> <p>خطة ومنهج البحث :</p> <p>البحث مقسم إلى مقدمة فيها أهدافه، ومنهجه، وخبطه، ثم تمهيد يلمح عن الإعجازين، والآراء فيه وعلماءه، ومؤلفاته قديماً وحديثاً، ثم منهج البحث، وهو المنهج الوصفي التحليلي والاستقرائي والتاريخي.</p> <p>من أهم النتائج :</p> <p>- تغيير بعض المفاهيم والتعريفات للعلماء القدامى بعد الربط للحقائق العلمية ، والقضايا البلاغية.</p> <p>- إضافة شواهد وأمثلة للدراسات العربية القرآنية والبلاغية يستفيد بها طلاب وطالبات العلم زيادة على الشواهد القديمة والمتداولة.</p> <p>من أهم التوصيات :</p>

<p>studies that benefit students of science in addition to the old and current evidences. Most important recommendations:</p> <p>Necessity to pay attention to the area of rhetorical and scientific miracle of the Holy Quran and to pay more attention for It, and expand the scientific research centers to deal with all verses of the Quran, which include the scientific facts, and explanation to defend the Book of Allah and to refute the arguments of atheists and deniers, and to persuade some of Muslim scholars who promote the rejection of the idea basically, and stating that this rejection serves only the enemies of religion. How much of a foreign scientist entered Islam when he/she saw the manifest evidences before it, but they blur the facts and conceal the information about them.</p>	<p>وجوب الاهتمام بمجال إعجاز القرآن الكريم البلاغي والعلمي وإيلائه عناية أكثر وتوسعة مراكز البحث العلمي لتناول كل سور القرآن التي تشتمل على الحقائق العلمية، وتفصيل الأمر فيها للدفاع عن كتاب الله ودحر حجج الملحدين، والمنكرين، ولإقناع بعض علماء المسلمين الذين يروجون لرفض الفكرة من الأساس وبيان أن هذا الرفض لا يخدم إلا أعداء الدين فكم من عالم أجنبي أسلم لما رأى الآيات بينات أمامه ، ولكنهم يطمسون الحقائق ويعتزمون الإعلام عنها.</p>
<p>Keywords :Scientific facts – Sun winding round and losing its light – swearing by Stars – suitability of the Quranic verses for the general purpose of the Surah – the brevity</p>	<p>كلمات مفتاحية: الحقائق العلمية، تكوير الشمس، القسم بالنجوم، مناسبة الفواصل القرآنية للغرض العام للسورة، الإيجاز.</p>

المؤلف المرسل د. جميلة السيد علي السيد زيدان، الإيميل: mariam.alaa95@gmail.com

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، رب السموات السبع والأراضين، رب المشرقين ورب المغربين، مالك يوم الدين، أنزل كتابه العزيز بلسان عربي مبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، على عبده محمد ليكون للعالمين هاديا ومبشرا ونذيرا، وصلاة وسلاما عليه وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين .

أمد الإنسان بسلطان العقل، وسخر له ما في السموات والأرض، ووجه ذوي العقول المستضيئة بنور العلم إلى البحث عن أسرار آياته الكونية، ثم أثنى عليهم سبحانه في كتابه "إنما يخشى الله من عباده العلماء "

وقضية إعجاز القرآن هي قضية العصور والقرون، فلكل عصر علماؤه نذروا حياتهم لهذه القضية، وبرزت مؤلفاتهم شاهدة لهم على ما بذلوه، وما توصلوا إليه من نظريات، ووجوه إعجاز، وتقدم، وابتكار، هذه الجهود أنارت الطريق لمن تبعهم من العلماء وكم ترك السابق لللاحق، ولقد ذكر العلماء أن وجوه إعجاز القرآن :إعجاز بلاغي، علمي، لغوي، تشريعي، نفسي، تربوي لكن يبقى البلاغي البياني هو الأساس والأصل، وكانت الغاية من هذا البحث المتواضع تبين العلاقة بين الإعجاز العلمي والبياني، خاصة بعد تأكيد الحقائق العلمية الحديثة وما توصل إليه العلم في القرنين العشرين والحادي والعشرين في كل المجالات الكونية والفلكية والطبيعية والطبية والنفسية الخ، لقد كان لزاما على المتخصصين في علوم البلاغة أن يطوروا من أنفسهم ويجتهدوا في عطائهم خدمة لبلاغة القرآن وأن يكونوا أكثر اطلاعا، ومتابعة لكل حقيقة علمية حديثة تتعلق بالإعجاز العلمي في القرآن، وأن يمزجوا بحوثهم ودراساتهم بما توصل إليه العلم الحديث في شتى المجالات ليملكوا القلوب بتأثير القرآن عليها ببيانها، ويملكوا العقول بتأثير إعجازه العلمي، ومخاطبة العامة قبل الخاصة حتى لا تكون البلاغة حبيسة كتب الأقدمين والمحدثين لا يدري الناس عنها شيئا .، وهذا الميدان يساعدنا أن نبرز البلاغة في ثوبها الجديد ولنحييها بكتاب الله، ولنحيي قلوب الناس ببلاغة القرآن، وقد اخترت سورة التكويد لأنها من السور القرآنية التي تشتمل على آيات الإعجاز العلمي وتصوير مشاهد يوم القيامة، ولما تشتمل عليه من الأسرار البلاغية والبيانية والإشارات الكونية و قسمت البحث إلى :

1-مقدمة: تشتمل على أسباب اختيار الموضوع وأهميته.

2-تمهيد: ويشتمل على نبذة عن سورة التكويد - ونبذة عن الإعجاز العلمي والبياني وموقف العلماء من الإعجاز

العلمي

3-مبحث تناولت فيه سورة التكويد مبينة الربط بين الإعجازين في الآيات وبين الحقائق العلمية والأسرار البلاغية

وأهمية ذلك.

منهج البحث :

اتبعت المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي والمنهج الفني في تناول السورة وكان الاعتماد على مراجع الإعجاز العلمي والبياني ومراجع التفسير وقد جمعت مادة علمية غزيرة عن الحقائق الكونية في السورة قمت باختصارها اختصاراً شديداً لعدم إطالة البحث ثم ربطتها بقضايا الإعجاز البلاغي رتبها حسب بداية السورة ونهايتها وذكرت أبرز ما تشتمل عليه من:

أسرار التقديم والتأخير-الفصل والوصل بالواو - أسلوب الإنجاز - الأساليب الإنشائية والخبرية -التعريف والتكثير - الحقيقة والمجاز -الفواصل القرآنية .وربطتها بحقيقة تكوير الشمس ،وحقيقة انكدارالنجوم ،وحقيقة تسييرالجبـال ،وحقيقة تسجيرالبحار ...الخ

والله أسأل العون والسداد والقبول والنفع ،وأن تكون بداية لتناول السور القرآنية التي تشتمل على الإعجاز العلمي ليكون مشروع الحياة وأن أقتدي بسلفنا الصالح الذين وهبوا حياتهم خدمة للكتاب العزيز .
أولاً -التمهيد :

1-سورة التكويد :مكية ،وتعد السابعة في النزول ،وتسمى كورت [1]،والغرض منها التهديد الشديد ،وتنقسم إلى مقطعين اثنين ،تعالج في كل مقطع منهما تقرير حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة .الأولى :حقيقة القيامة ،وتحقيق الجزاء ،وإثبات البعث ،ووصف أهوال القيامة . الثانية :حقيقة الوحي والتنويه بشأنه [2]

ومن الأحادث التي وردت في فضلها ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ "إذا الشمس كورت ،وإذا السماء انفطرت ،وإذا السماء انشقت"[3] وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال في قوله

تعالى "إذا الشمس كورت "قال كورت في جهنم ،"وإذا النجوم انكدرت "قال :في جهنم [4]

2-الإعجاز البلاغي :عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن ،وقصورهم عن الإتيان بمثله ،رغم توافر ملكتهم البيانية ،وقيام الداعي على ذلك ،وهو استمرار تحديهم ،وتقرير عجزهم[5]

3-الإعجاز العلمي :إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي ،وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ ،وهذا مما يظهر صدق الرسول ﷺ فيما أخبر به عن ربه . [6]

هذا وينقسم العلماء والباحثون في قضية الإعجاز العلمي إلى ثلاثة آراء :

يرى أصحاب الرأي الأول :أن الإعجاز القرآني هو البياني فقط ،وما ذكر من وجوه أخرى ما هي إلا أدلة على مصدر القرآن الرباني ،وأن سبق القرآن إلى هذه المضامين العلمية والتشريعية والإخبار بالغيب ،وغيرها ما يدل على أنه كلام الله ،وتكمن وجهة نظرهم في(أن البحث البياني يثبت المزية للقرآن مكتملاً ،فما القول في القلائل التي لا تشريع فيها ،ولا غيب،ولا علوم ،يجب أن نبحت أن منبع السر في القرآن قبل التشريع للحكم ،وقبل النبوة بالغيب ،وقبل العلوم الكونية

، وقبل أن يصبح القرآن وحدة مكتملة تشمل هذا كله فقليل القرآن الذي كان في أيام الدعوة الأولى كان مجرداً من هذه الأشياء التي جاءت فيما بعد، وكان مع ذلك محتويًا على هذا النبع الأصيل الذي تذوقه العرب ، ويذكر الشيخ محمود شاكر: (أن بيان القرآن ونظمه هو الذي طوّل به العرب بتذوقه لمعرفة إعجاز القرآن وبهذا ثبت أن ما في القرآن جملة من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة ، ومن أنباء الغيب ، ومن دقائق التشريع ، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه من أسرار الكون إلا في القرون المتطاولة من تنزيله كل ذلك بمعزل عن الذي طوّل به العرب [7]

فمن العلماء القدامى الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ، ومن المحدثين الشيخ محمود شاكر ، والدكتورة بنت الشاطي ، والدكتور عدنان زورو والدكتور صلاح الخالدي .

أما أصحاب الرأي الثاني فهم الذين أطلقوا المسائل على عواهنها ، وفتحوا الباب على مصراعيه ، دون تفرقة بين حقائق العلم ، وأوهامه ، مما أثار حفيظة أصحاب الرأي الأول ، وجعلهم يتمسكون برأيهم المتشدد في أن الإعجاز بلاغي فقط . ويتوسط أصحاب الرأي الثالث الذين نهجوا منهج الاعتدال ، ووضعوا ضوابطًا للتفسير العلمي ، ويرون أن الإعجاز القرآني له وجوه متعددة ، وعلى رأسها الإعجاز البياني وذلك "لأن المعطيات الكلية للعلوم أصبحت تؤكد على العديد من حقائق الدين ، ولذلك فإن من واجبات المسلمين اليوم تأصيل المعرفة الإنسانية بمختلف فروعها تأصيلًا صحيحًا خدمة للإسلام وللعلم وللإنسانية ... ولابد من الالتزام بضوابط التعامل مع قضية الإعجاز العلمي في كتاب الله بحسن فهم النصوص في القرآن وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية ، وحسب قواعدها ، وأساليب التعبير فيها لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين [8]

ومن أصحاب هذا الرأي د/فضل حسن عباس ، د سعد الدين صالح ، د جمال الفندي ، دزغلول النجار ، د/الزندان وغيرهم

وأؤيد هذا الرأي بشدة لتوسطه واعتداله ونفعه وانفتاحه كما قال الدكتور الفندي (إن القرآن ليس معجما علميا بل كتاب هداية) [9] ولا يجب أن نغلق الباب كما فعل أصحاب الرأي الأول ؛ ومع كل تقديري الشديد لهم ، فهم قامات ، وقمم ونجوم في سماء العلم ، وقادة الحضارة في ذلك العصر ، فإني مع أصحاب الرأي الثالث الذي يقول : إن الإعجاز البياني هو الأصل لكل الإعجازات الأخرى التي يرونها ، وأنه لا خلاف بتاتا ، وألخص الرد عليهم ، وأنا أقل من أن أرد على علمائنا :

أولا : إن قليل القرآن الذي كان في أيام الدعوة الأولى كان منه سورة التكوين التي هي محل دراسة البحث ، وهي سبع سور القرآن في النزول على الرسول ﷺ بمكة ، وتشتمل على مشاهد القيامة ، والحقائق الكونية والتي تشتمل على النهاية في الإعجاز البلاغي والعلمي كما سيتبين في البحث.

ثانيا : إن القرآن معجزة الرسول ﷺ الكبرى ، وهو الكتاب والمعجزة في آن واحد ، وقد تعهد الله بحفظه "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" وهو معجز في كل زمان وكل مكان وليس للعرب الأوائل فقط ، لأنه لو كان لهم فقط ، لتناقض ذلك مع كونه المعجزة الكبرى الباقية التي لم تنته بموت الرسول ﷺ كما انتهت المعجزات الأخرى له ﷺ فالقرآن ليس معجزة وقتية ، بل إلى قيام الساعة هداية للعالمين ، إذًا ، فكيف تكون هداية غير العرب الذين لم يتذوقوا بيانه وبلاغته ؟ ، فهناك إعجازات أخرى تهديهم إليه ، والله تعالى يعلم أنه سيأتي من خلقه من يتمكن من العلم ويتفوق فيه ، ويغتر بذلك فكان ولا بد أن يعجزهم القرآن ويبين لهم أن ما وصلوا إليه في ظل التقدم التكنولوجي والفلكي وغيره قد سبقهم بذكره في كتابه فما أمامهم سوى الإيمان والإذعان ، وقد سجل التاريخ دخول كثير من علماء الغرب بعدما تبينت لهم الآيات وتكشفت ، ولو أمد الله في عمر علمائنا الأجلاء واطلعوا على ما وصلت إليه حقائق العلم الحديث أظن أنهم كانوا سيتراجعون عن رأيهم خاصة وأن هناك ضوابط وضعها العلماء للالتزام في الإعجاز العلمي .

ثالثا : إن معظم المفسرين في تفاسيرهم واللغويين في معاجمهم مع اختلاف أزمته قد فسروا ألفاظ القرآن الكريم التي تشتمل على الحقائق الكونية في حدود معرفتهم ونطاق معلوماتهم حول الكون حينئذ ، وعلى سبيل المثال (خلطهم بين الكواكب والنجوم وجعلهما شيئا واحدا) في حين أن علماء الفلك قطعوا القول بالتفريق بينهما [10] ، كما سيأتي في البحث ، كذلك تفسير الشمس كورت ، بتكويرها ككور العمامة في حين أن الحقائق العلمية الحديثة شرحت الأمر بالتفصيل وما سيحدث للشمس بالتفصيل الدقيق مما يدلنا على محدودية معلوماتهم ، هذه الإشارات الكونية صيغت صياغة مجملة ، معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنى من المعاني يتناسب مع ما توفر لهم من علم بالكون ومكوناته ، وتظل هذه المعاني تتسع باستمرار باتساع دائرة المعارف الإنسانية ، مهما اتسعت دوائرها تصديقا لنبوءة المصطفى صلى الله عليه وسلم (أن القرآن لا تنتهي عجائبه) [11] فماذا يضير إذن من الاستفادة بهذه الحقائق في التفسير ، وفي المعاجم .

رابعا : أناشد أصحاب الرأي الأول : ما قولكم في ضعف الأجيال المتتابعة من أبناء المسلمين الذين وهنت فطرتهم اللغوية والبيانية ، وخارت قواهم الأدبية والذين هم دون المستوى في فهم الإعجاز البياني بل انسلخوا من لغتهم ولم يتحدثوا إلا باللغات الأخرى التي هي دليل التحضر والتقدم عندهم ، فقد يساهم فهمهم للإعجاز العلمي وانبهارهم به في فهم الإعجاز البياني ، وإذا كنتم يا أساتذتي الأجلاء تحكمون من منطلق علمكم وفهمكم وفصاحتكم وتمكنكم اللغوي ، فلم تعد الأجيال الناشئة على القدر الكافي من الفهم والتمكن من اللغة والبيان ، وقد اتسعت الهوة بينها وبين الكتاب العزيز ، فلربما بالإعجاز العلمي يستقطبون ويعودون إلى كتابهم ولغتهم وبلاغتهم إن شاء الله ، والله در الراعي حين يقول : (القرآن كتاب كل عصر ، وله في كل دهر دليل من دهر على الإعجاز ، ونحن قد قلنا في غير الجهات التي كتب فيها من قبلنا ، وسيقول من بعدنا فيما يفتح الله) [12]

4-أما عن تاريخ الإعجاز :

فقد بدأ الكلام عنه في القرن الثالث الهجري، والقول بالصرفة عند إبراهيم النظام والرد على هذا القول عند الجاحظ، والقرن الرابع أخذ التأليف فيه طابع التأسيس، والتعقيد والتنظيم والترتيب، عند الخطابي، والرماني وغيرهما، وفي القرن الخامس كان القاضي عبد الجبار، والباقلاني، وعبد القاهر الجرجاني، كل قرن يجدد بالعلماء والمؤلفات وفي القرن الرابع عشر كان مصطفى صادق الرافعي وله إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ومحمود شاكر، ومُحمَّد عبد الله دراز في النبأ العظيم وغيرهم ومن مؤلفات الإعجاز العلمي لعلي فكري والقرآن ينبوع العلوم والعرفان، وتفسير طنطاوي جوهر، وعبدالرزاق نوفل وكتابه من الآيات العلمية، وروائع من إعجاز القرآن مُحمَّد جمال فندي [13]

ومؤلفات الدكتور زغلول النجار، الأرض في القرآن، والسماء في القرآن، والإعجاز في القرآن للدكتور سعد الدين صالح وغيرهم .

المبحث : بين الإعجاز البلاغي والإعجاز العلمي في سورة التكوين:

سيتم في هذا المبحث بيان العلاقة بين الإعجازين البلاغي والعلمي في ضوء سورة التكوين، فالحقائق العلمية الحديثة في القرن العشرين عن الشمس والقمر والجال والبحار، وكيفية بدء الكون، وبيان عمره بالسنين، ومراحل تطوره، وكيفية انتهائه فالسورة عبارة عن تصوير حي مشاهد لعملية الانقلاب الكوني، ومشاهد يوم القيامة، وهو صورة نهاية في الإعجاز البلاغي، فسورة التكوين جزء من القرآن المعجز الذي يجمع كما ذكر الإمام الخطابي بين الكلام الرصين الجزل، وهذا أسلوب الترهيب والتهديد والتفريع والتهويل، وذلك في الجزء الأول منها، وبين الفصيح القريب السهل الذي يقوم على العذوبة، والسلاسة، ويمثله الجزء الثاني منها "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس، ثم الجائز الطلق الرسل الذي يتوسط بين القسمين، وهذا بقية السورة، كل الأقسام مجتمعة بتناسق وتكامل، دون تعارض أو تناقض، وقد توجد متفرقة في بعض أنواع الكلام "أما أن توجد مجتمعة فذلك لا يكون إلا في كلام العليم القدير، فتفهم أنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني [14]

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيرت، وإذا العشار عطلت، وإذا الوحوش حشرت، وإذا البحار سجرت، وإذا النفوس زوجت، وإذا المؤودودة سئلت، بأي ذنب قتلت، وإذا الصحف نشرت، وإذا الصحف نشرت وإذا الجحيم سعرت، وإذا لجنة أزلفت، علمت نفس ما أحضرت، فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس، والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، وما صاحبكم بمجنون، ولقد رآه بالأفق المبين، وما هو على الغيب بضنين، وما هو بقول شيطان رجيم، فأين تذهبون، إن هو إلا ذكر للعالمين، لمن شاء منكم أن يستقيم، وما تشاؤون إلا إن يشاء الله رب العالمين "

أولاً ، أسلوب التقديم والتأخير :

كما ذكر البلاغيون في تقديم المسند إليه (المبتدأ، والإخبار عنه بالخبر الفعلي، وذلك في الإثبات، إما لتقوية الحكم أو تأكيده، وإما للاختصاص) [15] وتقديم الشمس تقديم عناية واهتمام واختصاص، فالشمس آية من آيات الله في الكون، عبارة عن فرن ذري معلق في الفضاء، يحرق وقوده بمعدل ملايين الأطنان ليستنفذها كل ثانية، نجم متوسط عبارة عن فقاعة من الغاز كتلتها هائلة تحتوي على جميع العناصر والمعادن الموجودة في أجسامنا لكن في حالة غازية [16] (وتستمد طاقتها من باطنها عبر اندماج نووي طبيعي، وكأنه مفاعل نووي عملاق مسخر ليمد الأرض بالدفء، والطاقة والنور) [17]

وأعجب مافيها أنها تحترق بمعدل ثابت لأنه لو زاد لاحترق، وغوت حرا والشمس شيء عظيم لولاها لما نبتت شجرة، ولا نضجت ثمرة، ولا تبادل الليل والنهار، ثم في النهاية جاذبية الشمس، وهي السر في حركة الأرض لتحدد السنة واليوم، فهي ساعة كبيرة معلقة في الفضاء وهي من جعلت الأرض كروية، والجاذبية مسؤولة عن المد والجزر، فالشمس نفسها دليل على التدبير الإلهي، والحكمة الإلهية، والمشئة الإلهية، ليضبط ويهيئ الظروف لمخلوقاته، ودليل قاطع على عناية الله بنا على ظهر الأرض، والشمس نجم من النجوم، وكأي نجم آخر لابد أن يعتريها ازدياد مفاجيء في حرارتها وحجمها، وإشعاعها بدرجة لا تصدقها العقول، وعندئذ يتمدد سطحها الخارجي بما حوى من لهب دخان حتى يصل القمر، ويختل توازن المجموعة الشمسية كلها، وكل شمس في السماء لابد وأن يمر على مثل هذه الحالة قبل أن تحصل على اتزانها الدائم، ولم تمر شمسنا بالذات بهذا الدور بعد [18]

فإذا قال الله تعالى "إذا الشمس كورت" مبتدأ بالشمس وتكويرها، وقد ذكر علماء اللغة والمفسرون أنه من تكوير العمامة، وجمع الثياب (وكورت الشمس جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها " أو فساد جرمها لتداخل ظاهرها في باطنها بحيث يختل تركيبها فيختل لاختلاله نظام سيرها. [19]

فماذا بعد ذهاب الشمس؟ هذا المعنى الظاهري الذي ذكره المفسرون لأنهم لم يكونوا قد اطلعوا على ما وصل إليه علماء الفلك والفضاء في ذلك العصر، فهو ليس ذهاب لضوئها فقط بل انتهاء كل شيء على ظهر الأرض فكل ما عليها مرتبط ارتباطا وثيقا بالشمس كما ذكر، وهذا إيذان بنهاية الكون - حيث يتوقف الزمن مع اختفاء جميع القوانين التي نعرفها- (الذي يمتد عمره خمسة عشر مليار سنة زمنية، وعرضه خمسة عشر سنة ضوئية، والسنة الزمنية وحدة قياس الزمن، والسنة الضوئية وحدة قياس المسافة) [20]

لذلك كان تقديم الشمس في بداية السورة للاهتمام والعناية، وأهميتها عند الإنسان على الأرض. والخطاب بتقديم الشمس يتساوى فيه العالم الباحث الذي نقب عن معرفة حقيقة الشمس، وأدرك أهميتها، وعلم أنها سر الحركة على الأرض، وأدرك أنها تعد نجما عاديا في مجموع النجوم لكن الله عز وجل خصها بخصائص -كما يتساوى في الخطاب أيضا العامي الذي ينظر إليها بنظرته البسيطة حسب علمه ومعرفته المحدودة وأنها مصدر الدفء والضوء والنور

، ويعلم بما ليله من نهاره ، وهذا ما يسميه د عبدالله دراز الخطاب القرآني الموحد ويعتبره وجها من وجوه إعجاز القرآن ،
البلاغي [21] ، أما تأخير النجوم بعد ذكر الشمس مع أنها نجم متوسط ، بل يوجد في النجوم من هو أعظم منها حجما
وقوة ، فيعد من ذكر العام بعد الخاص مما يدل على خصوصية الشمس دون غيرها من جنس النجوم ، والوظائف التي تقوم
بها لكي تستقيم الحياة على الأرض .

أما تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في بقية الجمل الاثني عشرة "النجوم - الجبال - العشار - الوحوش - البحار -
النفوس - المؤودة - الصحف - السماء - الجحيم - الجنة" يفيد تقوية الحكم وتأكيده ، وذلك لغاية الخبر لوقوعه على خلاف
العادة ، والخبر الغريب ، وخلاف العادة يكمن في (أن الكون المنسق الجميل الموزون الحركة ، المضبوط النسبة ، المتين الصنعة
، سينفطر عقد نظامه ، وتتناثر أجزاؤه ، وهذا ما تستهدف الصورة إقراره من المشاعر ، والقلوب كي تنفصل من المظاهر الزائلة
مهما بدت ثابتة ، وتتصل بالحقيقة الباطنة ، حقيقة الله الذي لا يزول ، ولا يحول ، ولكي تنطلق من إसार المعهود المؤلف بل
إلى الحقيقة المطلقة التي لا تقيد بالزمان) [22]

ثانياً ، الوصل بالواو بين الجمل والفصل بينها :

قد وصلت الجمل الاثنتا عشرة وذلك لوجود الجامع والمناسبة ، وقصد التشريك في الحكم ، فكل الجمل المذكورة تدخل
في حكم واحد وهو " علمت نفس ما أحضرت " والمناسبة دقيقة وخفية كما التناسب بين الكلمات داخل الجمل ، فالنجوم
ناسب ذكرها بعد الشمس وهذا من ذكر العام بعد الخاص ، لكن ما المناسبة بين الشمس والنجوم والجبال ؟
وهذا هو التناسب الخفي ، الشمس والنجوم في السماء ، والجبال في الأرض ، والجبال كما وصفها القرآن بالرواسي
(ترسو) بأوتادها في نطاق الضعف الأرضي ، كما ترسو السفينة في ماء البحر على مرساها ، فالجزء البارز من الجبال فوق
سطح الأرض ليس إلا القمم لكتل هائلة من الصخور التي تطفوا في نطاق الضعف الأرضي ، ووجود الجبال بكتلتها الغائرة
في الغلاف الصخري للأرض ... يقلل من شدة ترنح الأرض في دورانها حول محورها ، ويجعل حركتها أكثر انتظاما
، وسلاسة ، وبذلك أصبحت الأرض مؤهلة للعمران ، كما لها دور بارز في اتزان حركة الأرض ككوكب ، كما أثبت البحث
العلمي أن جذور الجبال لها امتداد القشرة الأرضية للقارات ، وتعمل كمسكات للقارات من الصخور السائلة التي توجد
تحت القشرة الأرضية ، ولولا جذور هذه الجبال المنفرشة لطفت القشرة إلى الخارج ، وانعدم التوازن [23]

وهنا تظهر المناسبة جلية واضحة في ذكر الجبال تلو النجوم والشمس ، وكأن نهاية الشمس نهاية الجبال والتي هي أعظم
المخلوقات التي يراها الإنسان على ظهر الأرض ، فلم يعد يكثر بما حوله من هول ما يرى .

ولذلك كانت المناسبة لذكر تعطيل العشار عقبها ، فقد ذكر المفسرون أن المقصود بالعشار ما: النوق في نهاية شهر
حملها ، وهذا أغلى ما يملكه الإنسان في ذلك الحين لكنه لم يعد يهتم بعظله بعد أن كانت ذروة اهتمامه من هول ما يرى
، وإما : المقصود بالعشار السحب المحملة بالماء ، ولكنها تعطلت عن المطر فلم تعد تمطر فتجذب الأرض ، ووينتشر القحط

وهذا إتمام للانقلاب الكوني ، ثم يأتي حشر الوحوش فما أجمل المناسبة ، وإتماما للصورة وبيانا لمشهد الدهشة أن كل ما يسير طبيعيا عاديا في نسقه صارخارجا عن العادة وعن الطبيعة مثيرا للعجب ، فالعادة مشهد الوحوش التي تحرب من بعضها البعض خوفا من أن يأكل القوي منها الضعيف ، أو ينهش الكبير منها الصغير ، ويراهما تتجمع في مكان واحد دون خوف أو هرب ، كان كل ذلك لإدخال المهابة والروع في نفوس السامعين ، وبينا عظمة ذلك اليوم .

ثم مناسبة تسجير البحار لما قبله : فالبحار والمحيطات هي النسبة الأعلى من اليابسة على الأرض اقتضتها حكمة الله ، تسجير البحار فرغت من مائها وذهبت حيث شاء الله ، وقيل يبست ، وقيل ملئت وفاضت وفجرت من أعاليها ، وقيل أضمرت نارا كما يسجر التنور ، وقال ابن عباس : جهنم في البحر الأخضر ، وقيل ملكت وقيد اضطرابها حتى لا تخرج على الأرض بسبب الهول ، وقيل هذه بحار نار في جهنم تسجر يوم القيامة .

وتسجير البحار فيضائها ، والمراد تجاوز مياهها معدل سطوحها واختلاط بعضها ببعض وذلك من آثار اختلال قوة كرة الهواء التي هي ضاغطة عليها ، وقد وقع في آية من سورة الانفطار " فجرت " ، وإذا حدث ذلك اختلط ماؤها برملها فتغير لونه .

ويلق الدكتور زغلول النجار : فالمفسرون قد ذهبوا مذهبين في تفسير (تسجير البحار) ، الأول : المملوءة بالماء وفاضت ، والثاني : المضرم تحتها النار ، وكلا التفسيرين صحيح من (ناحية الحقيقة العلمية التي لم يكن لبشر إلمام بها قبل ذلك أبدا فالأول : البحار المملوءة بالماء فمن الحقائق العلمية أن الأرض من أغنى مجموعة الكواكب الشمسية بالماء الذي تقدر كميته بحوالي من 1460 إلى 1385 مليون كيلو متر مربع ، وهذا الماء الذي أخرجه الله عز وجل من داخل الأرض على هيئة بخار ماء اندفع من فوهات البراكين ، وعبر صدوع الأرض العميقة ليصادف الطبقات العليا الباردة من نطاق التغيرات الجوية ، والذي يمتد من سطح البحر إلى ارتفاع حوالي ستة عشر كيلو مترا فوق خط الاستواء ، وحوالي العشرة كيلو مترات فوق قطبي الأرض ، وتنخفض درجة الحرارة في هذا النطاق باستمرار مع الارتفاع حتى تصل إلى ستين درجة مئوية تحت الصفر في قمته فوق خط الاستواء ، وهذا النطاق يحوي حوالي ثلث كتلة الغلاف الغازي للأرض 66 % والمقدرة بأكثر قليلا من خمسة آلاف مليون مليون طن وهو الذي يتكثف فيه بخار الماء الصاعد من الأرض والذي تتكون فيه السحب ، وينزل منه كل من المطر ، والبرد ، والثلج ، وتتكون العواصف والدوامات الهوائية وغير ذلك من الظواهر الجوية ، ولولا تبرد هذا النطاق مع الارتفاع ما عاد إلينا بخار الماء الصاعد من الأرض أبدا ، وحينما عاد إلينا بخار الماء مطرا وثلجا وبردا انحدر على سطح الأرض ليشق له عددا من المجاري المائية ثم فاض إلى منخفضات الأرض الواسعة ليكون البحار والمحيطات ، وبتكرار عملية التبخر من أسطح اليابسة بما عليها من مختلف صور التجمعات المائية والكائنات الحية بدأت دورة الماء حول الأرض من أجل التقنية المستمرة لهذا الماء وتلطيف الجو وتفتيت الصخور ، وتسوية سطح الأرض وتكوين التربة ، وتركيز عدد من الثروات المعدنية ، وغير ذلك من المهام التي أوكلفها الخالق لتلك الدورة المعجزة التي تحمل 380.000 كيلو متر مكعبا من

ماء الأرض إلى غلافها الجوي سنويا لتردها إلى الأرض ماءً طهوراً منها 320.000 كيلومتراً مكعباً تتبخر من أسطح البحار والمحيطات 60.000 كيلومتراً مكعباً من أسطح اليابسة، يعود منها 284.000 كيلومتراً مكعباً إلى البحار و 96.000 كيلومتراً مكعباً إلى اليابسة التي يفيض منها 36.000 كيلو متراً مكعباً من الماء إلى البحار والمحيطات والمطر، هذه الدورة المحكمة للماء حول الأرض أدت إلى خزن أغلب ماء الأرض في بحارها، ومحيطاتها حوالي 97%، وإبقاء أقله على اليابسة حوالي 2،8% وبهذه الدورة للماء تملح البحار والمحيطات، وبقيت نسبة ضئيلة من مجموع ماء الأرض على هيئة ماء عذب.... وتوزيع ماء الأرض بهذه النسب التي اقتضتها حكمة الله قد تم بدقة بالغة بين البيئات المختلفة بالقدر الكافي لمتطلبات الحياة في كل بيئة من تلك البيئات وبالأقدار الموزونة التي لو اختلفت قليلاً بزيادة أو نقص لغمرت الأرض وغطت سطحها بالكامل أو انحسرت تاركة مساحات هائلة من اليابسة ولقصرت دون متطلبات الحياة، والله الفضل والمنة، أنه ملأ منخفضات الأرض بماء البحار والمحيطات، وحجزه الماء عن مزيد من الطغيان على اليابسة، وذلك بحبس كميات من هذا الماء في هيئات متعددة أهمها السمك الهائل من الجليد المتجمع فوق قطبي الأرض وعلى قمم الجبال - ولولا ذلك لغطى الأرض أغلب سطحها ولما بقيت مساحة كافية من اليابسة للحياة بمختلف أشكالها الإنسانية والحيوانية والنباتية وهي إحدى آيات الله البالغة في الأرض من أجل إعدادها لكي تكون صالحة للعمران .

أما التفسير الثاني : للبحار سحرت وهو بمعنى أحميت، فهو أيضاً صحيح من الناحية العلمية ففي أواخر القرن العشرين تم اكتشاف حقيقة تمزق الغلاف الصخري للأرض بشبكة هائلة من الصدوع العملاقة المزدوجة، والتي تكون فيما بينها ما يعرف باسم أودية الخسف أو الأغوار، وهذه تحيط بالكرة الأرضية إحاطة كاملة، وعند الأغوار في كافة هذه الاتجاهات عشرات الكيلومترات، ولكنها تنتشر أكثر ما تنتشر في قيعان عدد بحارها، ويتراوح عدد الصدوع المشكلة لتلك الأغوار بين 65 و 70 كيلومتراً تحت قيعان البحار والمحيطات وبين 100 و 150 كيلومتراً على اليابسة وتعمل هذه الصدوع على تمزيق الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتقطيعه إلى عدد من الألواح الصخرية التي تطفوا فوق نطاق من الصخور شبه المنصهرة يسميه العلماء باسم نطاق الضعف الأرضي، وهو نطاق لدن عالي الكثافة والزوجة، تتحرك بداخله تيارات الحمل من أسفل إلى أعلى حيث تتبرد وتعاود النزول إلى أسفل وهي بتلك الحركة الدائبة تدفع بكل لوح من ألواح الغلاف الصخري للأرض إلى التباعده عن اللوح المجاور في أحد جوانبه في ظاهرة تسمى ظاهرة اتساع قيعان البحار والمحيطات، ومصطدماً في الجانب المقابل باللوح الصخري المجاور ليكون سلسلة من السلاسل الجبلية، ومنزلقاً عن الألواح المجاورة في الجانبين الآخرين، وباستمرار تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض تتسع قيعان البحار والمحيطات باستمرار عند ضغوط التباعده بينها وتندفع الصحارة الصخرية بملايين الأطنان في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية لتساعد على دفع جانبي المحيط بمنة ويسرة وتملأ المسافات الناتجة عن عملية توسع البحار والمحيطات بهذه الملايين من أطنان الصحارة الصخرية المندفعة من باطن الأرض على هيئة ثورات بركانية عارمة تحت الماء تسجر قيعان جميع محيطات

الأرض، وقيعان أعداد من بحارها مثل البحر الأحمر وتجدد مادتها الصخرية باستمرار ،وقد أدى هذا النشاط فوق قيعان كل المحيطات وفوق قيعان عدد من البحار النشطة إلى تكون سلاسل من الحبيد المرتفعة في أواسط تلك المحيطات والبحار تتكون في غالبيتها من الصخور البركانية وقد ترتفع قممها في بعض الأماكن على هيئة أعداد من الجزر البركانية ... وفي المقابل ألواح الغلاف الصخري عند حدودها المقابلة لمناطق اتساع قيعان البحار والمحيطات ،ويؤدي هذا التصادم إلى اندفاع قيعان المحيطات تحت كتل القارات وانصهارها بالتدريج مما يؤدي إلى تكون جيوب عميقة عند التقاء قاع المحيط بالكتلة القاسية تتجمع فيها كميات هائلة من الصخور الرسوبية ،والنارية ،والمتحولة التي تطوي وتتكرس لترتفع على هيئة السلاسل الجبلية على حواف القارات ... ويصاحب كل من عمليتي توسع قاع المحيط وصخوره الوسطى واصطدامه عند أطرافه بعدد من الهزات الأرضية والثورات والطفوح البركانية التي تبلغ أشدها عند خطوط التصادم ... وبذلك ثبت لكل من علماء الأرض والبحار بالأدلة الملموسة أن كل محيطات الأرض بما في ذلك المحيطان المتجمدان الشمالي والجنوبي ،وأن أعدادا من بحارها من مثل البحر الأحمر قيعانها مسجرة بالصهارة الصخرية المندفعة بملايين الأطنان من داخل النطاق الضعيف في الأرض عبر شبكة الصدوع العملاقة التي تمرق الغلاف الصخري للأرض بالكامل وتصل إلى نطاق الضعف الأرضي وتتركز هذه الشبكة من الصدوع العملاقة -على ضخامته لا يستطيع أن يطفئ جذوة تلك الطفوح من الصهارة الصخرية المندفعة من داخل الأرض إطفاء كاملا ،وأن هذه الجذوة على شدة حرارتها أكثر من ألف درجة مئوية لا يستطيع أن تبخر هذا الماء بالكامل - وذلك لأنه عندما يتبخر الماء باندفاع الصهارة فيه ،فإنه يرتفع إلى أعلى ليلا مس ماءً أبرد ،فيتكثف ،ويعود إلى البحر مرة أخرى ليعاود الكرة من جديد ،وهكذا ليبقى هذا الاتزان الدقيق بين الأضداد من الماء والحرارة العالية ،هو من أكثر ظواهر الأرض إبهارا للعلماء في زماننا حقيقة لم يتمكن الإنسان من اكتشافها إلا في أواخر الستينيات وأوائل السبعينات من القرن العشرين ([24]

وهكذا التقى تفسير المفسرين لمعنى (سجرت) بصيغة المبني للمفعول مع الحقائق العلمية الحديثة ،ويؤكد ذلك قوله تعالى في سورة القمر ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ،وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ (49) ،وقوله تعالى : ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ الرعد (8) كما تبين وسبق ذكره لوزادت الحرارة أوقلت ماذا يحدث ؟.

ثم ينتقل من جمل وعلامات يوم القيامة في الدنيا إلى مشاهد القيامة في الآخرة حيث مشهد الحشر والحساب ،وبعد كل ما سبق بذكر توزيع النفوس ،وهو كما ذكر المفسرون أنه من إعادة الأرواح إلى الأجساد للحشر والحساب ،وإما من تقسيم النفوس جماعات وأفواج فالمؤمنون ، الكافرون ، المنافقون ، أصحاب اليمين ، أصحاب الشمال ، السابقون السابقون

ويأتي سؤال المؤودة: وهنا يطرح السؤال نفسه ،ولماذا جريمة الوأد بالذات دون غيرها من الجرائم والذنوب تأتي ضمن هذه المشاهد؟

والإجابة : أن المقام أنسب لأنه في معرض أهوال القيامة لإدخال المهابة والروع في نفوس السامعين ، ولتبشيع هذه الجريمة بالذات وتخويف المجرم ، فكل مقتول له من أمه وأبيه ، وولده ، وزوجه من يطالب بالقصاص له ، ويكي لفراقه ، ويحزن لمقتله ، والغدربه ، أما المؤودة فقاتلها من ؟ قاتلها أبوها أو أمها أو هما معا ، ولم تأخذها بما رأفة ولا شفقة ، ولا رحمة مع توسلها وندائها ، وما أبشع هذا المنظر ، فكان أيضا هذا أمرا غريبا عجيبا خارجا عن العادة ، فاستحق أن يجاور ما سبقه من أمور غريبة عجيبة ، وناسب وروده بعدها ، كما توجد لفظة عجيبة في هذا التناسب بين الجمل ، وهي أن الله أراد الجمع بين أمرين متناقضين ، العشار التي كانت في ذروة اهتمامهم ومبلغ عنايتهم ، وأعلى ما يحرصون عليه ، هانت عليهم ولم يكثرثوا لها ، و المؤودة التي تذكرهم أن قتلها كان أهون وأيسر القتل عليهم ، فما كانوا يستهينون به في الدنيا صار أشد ما يعتنون ويهتمون به يوم الحساب ، وما كانوا يحرصون عليه في الدنيا صار أهون ما ينظرون إليه يوم الحشر والحساب ، وما أهون بعثها على الله ، ونفخ الروح فيها ، وجعلها تعقل وتجب على سائلها ، كما أن الله أراد أن تطول المدة على الوائد في العذاب النفسي أولا ، والتفكير في مصيره حتى يأتي حسابه ثانيا ، ولتكون فرصة عظيمة لمن أسلم وحسن إسلامه و تاب إلى الله ، وقد ارتكب هذا الذنب في حياته أن يتوب ، ويكفر عنه قبل يوم الحساب ، ومن الصحابة رضوان الله عليهم من ندم على ما اقترف ، وتاب إلى الله . وكم من وائد وواودة في عصرنا هذا ، ولذلك كانت المناسبة في ذكر { وإذا الصحف نشرت } .

كما نلاحظ أعظم مناسبة بين هذه الأمور جميعها التدرج ، والترتيب ، والتوالي في نسق بديع ينتقل من مشهد إلى مشهد في يسر وسهولة على السامع منقطعي النظر . (وهذا من تأليف المختلف وهو باب متسع جدا في القرآن) وجعله الباقلاني من وجوه إعجاز القرآن (تأليف المختلف) [25] ، ونبه عليه الزمخشري عند تفسير قوله تعالى { الشمس والقمر بحسبان } .

وعن المناسبة يقول الزركشي : هو علم شريف تحزر به العقول ، ويعرف به قدر القائل ، والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما ، عام أو قاصي ، عقلي أو حسي أو خيالي ، وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم المهني كالسبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين والضدين ، ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر ، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم (الأجزاء) ، وقال عنه الرازي في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعه في الترتيبات ، والروابط ، وقال بعض الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا ، قال القاضي ابن العربي : ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون الكلمة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له [26] ثالثا ، التعبير بالماضي موضع المضارع مع بناء الفعل الماضي للمفعول :

في كل الأفعال (كورت ، سيرت ، عطلت ، سجرت ، زوجت ، سئلت ، كشتت ، سعت ، أزلت ، علمت نفس ما أحضرت) تنبيهاً على تحقق الوقوع ، إضافة للتعبير بإذا الشرطية التي تستعمل في الشرط المقطوع بوقوع جوابه . أما الفعل الثاني في الترتيب "وإذا النجوم انكدرت" ماضياً مبنياً للفاعل وذكر المسند إليه (الفاعل) تقديره هي . والسؤال هنا لماذا عبر بالفعل مبنياً للمفعول في كل هذه الأمور وبالفعل مبنياً للفاعل مع النجوم ؟

والسر في ذلك التعبير بفعل المطاوعة (والانكدار مطاوع كدره المضاعف) ولم أجد من أشار إلى فعل المطاوعة عند تفسيره إلا ابن عاشور في التحرير والتنوير [27]، وفي مفردات الراغب (الانكدار تغير من انتشار الشيء) [28] ووزن (انفعل) من الأوزان الرئيسة المشهورة في هذا الباب خماسي بزيادة الألف والنون على الثلاثي ويتميز بلزوم المطاوعة وله صوره منها 1- انفعل يطاوع فعل 2- انفعل يطاوع أفعل ، والمطاوعة الصرفية إذا كان الفعل الثاني من لفظ الأول نحو كسرتة فانكسر ، كأن الفعل الثاني تصرف من الفعل الأول أو اشتق منه ، وهي على عكس التعدية أي تفقد قدرتها على نصب المفعول به فيجعل المتعدي كاللازم ، وهذا ليس دائماً .

تعريفها : لزوم فعل لفعل آخر بحيث إذا وقع الأول وقع الثاني ، وعرفها أبو سعيد السيرافي: أن المفعول به لم يتمتع مما رامه الفاعل ، ألا ترى أنك تقول فيما امتنع مما رامه : دفعته ، فلم يندفع " (وقيل المطاوعة: قبول الأثر أي حصوله من فاعل فعل ذي علاج محسوس إلى فاعل فعل يلاقيه اشتقاقاً فإن حصول الأثر بلا ملاقة ليس مطاوعاً كضربته فتألم .

وقيل: حصول الأثر عن تعلق الفعل المتعدي بمفعوله نحو كسرت الإناء فانكسر [29]

وبعد إلقاء الضوء على تعريف المطاوعة ، وبالرجوع للحقيقة الكونية ومعرفة مراحل تطور النجوم ، ونشأتها . والنجوم في نظر العلم الحديث: أجسام متوهجة تشع ضوءاً وحرارة تتميز بخمس خصائص (السطوع - اللون - درجة الحرارة - الطيف - الحجم) وعددها لا يقع تحت حصر ، والشمس تتحرك بالنسبة للنجوم المحيطة بها بمعدل 12 ميلاً في الثانية متجهة نحو المستقر ، وبرغم ظهورها للعين نقاط ضوئية لا معة في السماء إلا أنها شمس مثل شمسنا ، وتظهر هكذا لبعدها عنا بمسافات كبيرة حيث إن أقرب نجم إلينا يبعد مسافة أربع سنوات ضوئية وهو نجم الشعرى ، ويطلع بعد الجوزاء في شدة الحر ، وهي نجمة أكبر من الشمس أكثر من خمسمائة مرة ، ونورها خمسون ضعفاً لنور الشمس وهي ميل في الدقيقة ، فالإشارات الكونية في كتاب الله جاءت بصورة إجمالية لتؤكد على أن الله خلق سبع سموات ، وما كان أمام الإنسان من وسيلة لتصوير ذلك ، وكل ما يراه الإنسان عبارة عن جزء صغير من السماء الدنيا ، ويؤكد القرآن أن النجوم هي زينة السماء الدنيا وحدها ، أما السموات الأخرى فلها زينة لا يعلمها إلا الله ، ورآها رسوله ﷺ في رحلة المعراج ، ويتخيل بعض الناس أن النجوم هي النقاط المتألأة ، وهي وسيلة إضاءة وهداية في البر والبحر ، لكن الدراسات الفلكية الحديثة أكدت أن النجوم كأي شيء في الوجود تمر بمراحل التطور (الميلاد ، والطفولة ، والشباب والكهولة ، والشيخوخة والاحتضار والموت) ، ويخلقها ربنا من دخان السماء "ثم استوى إلى السماء وهي دخان" وبقدرته وعلمه يحدث دوامات

عاتية في السماء وترتفع درجة حرارته إلى ملايين الدرجات المطلقة، وتبدأ عملية الاندماج النووي وتتحد الذرات الخفيفة في الإيدروجين مولدة قوى ذرات أعلى في وزنها كالهليوم ، وبمجرد أن تبدأ عملية الاندماج النووي ويبدأ نمو النجم ، والنجوم منها العادي والعملاق ومن النجوم ما تصل حرارتها إلى مئات البلايين وكلها عبارة عن مراحل في حياة النجوم ، ولاحظ العلماء أن غالبية النجوم التي تمضي حياتها في نجوم النسق الرئيس ، ومجرتنا درب التبانة أو الطريق اللبني ، ينتشر فيها بلايين مجرات حلزونية ، وأكد العلم أن بالسماء أكثر من مائتي ألف مليون مليون نجم وثلاثمائة ألف مليون مجرة ، ويتخلق من النجوم كشمسنا ، هذه النجوم الغالبية الساحقة منها في النسق الرئيس العادية منها كالشمس لها مراحل ميلاد ويخلقها الله من دخان السماء ، ويفنيها من دخان السماء ، ولكن نظر العلماء في صفحة السماء ، وجدوا أن الحسابات الرياضية لكتل الأجرام السماوية لا يمكن أن تنسجم مع تقدير قوى المجاذبية ، فلا بد أن هناك غيوم السماء أو مادة لا ترى حتى تتوافق مع الحسابات ، وهذا ما يسمى النجوم النيوترونية تنتج عن انفجار النجوم ذات الكتل العالية على هيئة ما يسمى المستعر الأعظم السنتيمتر المكعب منها تقدر كثافته بليون طن تتضاغط المادة بشكل غريب وتلتقي وهي نجوم خافتة منكدرت فقدت الكثير من لمعانها وضوئها فأدرك العلماء أن من النجوم م ما ليس متلألاً مضئاً وهو المنكدر ، وهذا الانكدار صادر من داخلها (ولذلك كان السر في التعبير بالفعل المبني للفاعل وعدم بنائه للمفعول كبقية الأفعال السابقة والتالية له وهذه خاصية من خصائص النظم القرآني التناسق بين العبارة والموضوع الذي يراد تقريره ويؤكد ذلك ما ذكره البقاعي في نظم الدرر (انكدرت النجوم صغارها وكبارها وذلك في يوم القيامة أي انقضت فتهاوت وتساقطت وتناثرت حتى كأنه بنفسها من غير فاعل في غاية الإسراع أو أظلمت من كدرت الماء فانكدر) [30]

ويؤكد أيضاً أن يوم القيامة ستستوي كل النجوم صغارها وكبارها، ولعل هذا هو السر والعللة اللذان يبحث عنهما الخطابي (أنه لا بد من الغوص فيها ، ولا بد أن تكون الحقائق قائمة على أركان من الأدلة فيقول : وهذا الإعجاز لا بد له من سبب بوجوده يجب له هذا الحكم وبحصوله يستحق هذا الوصف ... ، حيث جمع القرآن بين صفتي الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد من نوعهما كالمضادين ، لأن العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعاً من الوعورة فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبو كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن يسرها الله بلطف قدرته من أمره ليكون آية بينة لنبهه ، ودلالة على صحة ما دعا إليه من أمر دينه) [31]

وهذا اجتهاده رحمه الله وبصيرته التي أثارها له ، وذلك بسبق نظره في الإعجاز ، ولذلك كل من كتب في الإعجاز محسوبون عليه ، وعيال عليه ، وأكد على ذلك علماؤنا في العصر الحديث ، وكلما بحثت وربطت بين الإعجازين تذكرت الإمام الخطابي وأقول هذا ما كان يبحث عنه إمامنا ليشفي غليله من هذه المسائل رحمه الله رحمة واسعة .

رابعاً، الإيجاز بنوعيه (الإيجاز بالقصر ، هو الدلالة على المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة أي تضمين العبارات القليلة القصيرة معاني كثيرة غزيرة دون أن يكون في تراكيبها لفظ محذوف . [32])

كل جملة من الجمل الاثنتي عشرة في السورة تتكون من كلمتين ،ولنتأمل كيف تضمنت من المعاني الغزيرة من خلال التوضيح لكل حقيقة علمية كم استغرقت من الشرح والتفصيل ،وفي الحقيقة لوقارنا بين تفسير المفسرين القدامى للآيات نجده موجزا بسيطا ،وبعد الاطلاع على الشرح العلمي الدقيق ،وبيان القدرة الإلهية في خلق الكون ،وذلك بالرجوع إلى مؤلفات العلماء في علوم الفلك والفضاء -وقد اختصرتها اختصارا شديدا حتى لا يطول عدد صفحات البحث -وما فيه من أسرار يقف المرء متعجبا من مطابقة الشكل للمضمون ،في أوجز عبارة ،ولوشرحت لاستغرق ذلك مجلدات كما ذكرت ،وهنا ندرك جلال الإعجاز البياني ،والإعجاز العلمي وكيف كانت كل كلمة معبرة عن المعنى الذي سيقى له ،لا يؤديه غيرها من الكلمات ،فالحكمة والدقة في تكوين الكون عبرت عنها الدقة والحكمة في نظم كلمات الجمل وهذا نهاية الإعجاز القرآني .فكما أعجز في خلقه لكونه ومخلوقاته بقوله "هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه "أعجز في نظم قرآنه "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله"

و من أسلوب الإيجاز بالقصر في السورة الكريمة قوله تعالى: "والليل إذا عسعس" فالفعل عسعس من الأضداد يعني به "أقبل" ويعني به "أدبر" فعبره ليدل على الحالين معا الإقبال والإدبار ، أضيف إلى ذلك أن بيان عملية تتابع الليل والنهار التي هي من أعظم الآيات الكونية يأخذ مؤلفات للشرح والتوضيح فكيف أوجزها في عبارة من كلمتين ،كذلك الحال في قوله تعالى "والصبح إذا تنفس "

- إيجاز الحذف وهو ؛ التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة وذلك بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني وذلك لوجود قرينة تدل على المحذوف وترشد إليه ، وذلك بالتعبير : (إذا وفعل الشرط فقط)،دون ذكر الجواب مع اثنتي عشرة جملة تبعثها بعد واو العطف "إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت ، وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار سجرت ، وإذا النفوس زوجت ، وإذا المؤودة سلئت ، وإذا الصحف نشرت ، وإذا السماء كشطت ، وإذا الجحيم سعرت ، وإذا الجنة أزلئت) ثم ذكر عقبها جواب الشرط -علمت نفس ما أحضرت - مرة واحدة دون تكراره في كل جملة ،وهو من قبيل حذف جزء الجملة (وفي هذا إشارة إلى أن مضمون كل جملة من

هذه الجمل مستقل بحصول مضمون جملة الجواب عند حصوله بقطع النظر عن تفاوت زمان الحصول) [33]

فالأهوال التي هي موضوع السورة ،سنة منها تحصل آخر الحياة ،وسنة تحصل في الآخرة . فتكرار (إذا) هنا أفاد الاستقلال لكل حدث مع مضمون الجواب،وهذا النظم والترتيب القرآني يدعو السامع للتفكر في عاقبة كل ما سيحدث ،فإذا الشمس كورت علمت نفس ما أحضرت ،وإذا النجوم انكدرت علمت نفس ما أحضرت وهكذا، وهذا هو الإعجاز بعينه فكيف اجتمع على موضع واحد (الإطناب) الذي يمثله تكرار (إذا) مع الإطناب في ذكر الجمل الاثنتي عشرة ،و(الإيجاز) الذي يمثله ذكر إذا مع جملة الشرط وذكر جواب شرط واحداً لكل جمل الشرط الاثنتي عشرة . فهذا

إعجاز بلاغي وحده ،وقد ذهب د/دراز إلى أن القرآن إيجاز كله يستثمر بفق أقل ما يمكن من الألفاظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني سواء مواضع إجماله (مقام الإيجاز) ومواضع تفصيله (الإطناب) [34]

هذا بالإضافة إلى ما أفاده التعبير ب(إذا) التشويق والتهويل ،وقد ذكر النحاة أنها نوعين الثاني منها لغير المفاجأة ،فالعالم أن تكون ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط تختص بالجملة الفعلية، ويكون الفعل بعدها ماضيا كثيرا ، وإنما دخلت الشرطية على الاسم في نحو "إذا السماء انشقت لأنه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير ، لا مبتدأ خلافا للأخفش ، وإذا شرطية غير عريضة في الشرط أفادت التهويل والتشويق ([35]

-ومن إيجاز الحذف أيضا: حذف المسند إليه :في الجمل السابقة ببناء الفعل للمفعول ،وحذف الفاعل ، وأقيم المفعول مكانه ، والسر البلاغي وراء هذا الحذف، أولا : يصب في غرض الإيجاز المقصود في الجمل الاثنتي عشرة ، ثانيا : ظهور المسند إليه ظهورا لا ليس فيه ، ثالثا : الإشارة أن هنالك قدرة خارقة هي قدرة الله عزوجل (لما كان المهول مطلق تكويرها الدال على عظمة مكورها بني الفعل للمفعول على طريقة كلام القادرين [36]

فالمخاطب يعلم علم اليقين من الفاعل الحقيقي لكل هذه الأفعال ،أضف إلى ذلك كله التركيز على الحدث لا الحدث ،وهو المشهد لأنه وقتها يدرك تمام الإدراك ماسبق ،وقد أُنذر به من قبل وهما هو واقع مشاهد، يراه رأي العين، وهنا الخطاب للنفس المسلمة ،والنفس الكافرة اللتين تعلمان ما أحضرنا ،فالمسلمة تعلم وقتها الحقيقة التي صدقت بها ،وجاهدت في سبيلها وماتت عليها (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)،والكافرة تعلم وقتها الحقيقة التي كذبتها ،ونذرت عمرها للصد عن سبيل الله ،وماتت على ذلك وحينها تقول "ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا "

خامسا، التنوع بين الأساليب الخبرية والإنشائية : التعبير بالأسلوب الخبري له أسرار البلاغية ،والتعبير بالأسلوب الإنشائي له أسرار البلاغية في السورة ،والتنوع بينهما له أثره الكبير في نفس المخاطب فبدايات السورة جمل خبرية لا تحتل إلا الصدق فأخبار القرآن كلها مقطوع بصدقها باعتبارها كلام الله عز وعلا " ومن أصدق من الله قيلا "ومن أصدق من الله حديثا " ولها أغراض منها :

** إلقاء المهابة والروع في نفوس المخاطبين والوعظ والزجر وإظهار التحسر "علمت نفس ما أحضرت " بتكشف حقيقة ما يجري لكل ما يراه في الكون حوله ،فمبلغ علمه وإدراكه، رجعة أو زلزال أو بركان أو طوفان ،وهي بالنسبة لما يحدث ويخبر به شيء لا يذكر ،(وعندما تقع هذه الأحداث كلها في كيان الكون ،فلا يبقى للنفس شك في حقيقة ما علمت ،تعلم ما لها وما عليها وما معها ،ولا تملك أن تغير شيئا ولا أن تزيد ولا تنقص ... ولم يبق إلا وجه الله فما أولى أن تتجه النفوس قبل أن يتحول الكون) 37

** التوبيخ واللوم ، والتفريع في " وإذا المؤودة سئلت ،بأي ذنب قتلت "

** التأكيد للأخبار بأن واللام وقد في {إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين} إذ المقام مقام إنكار المنكرين، وهذا يقتضي التأكيد بأكثر من مؤكد .

ومن التأكيد أيضا النفي المؤكد بالباء في "وما صاحبكم بمجنون، وما هو على الغيب بضنين، وما هو بقول شيطان رجيم

"

(فقد أفاد النفي المؤكد أن هذا الوصف ثابت له دائما على سبيل الاستغراق لكل زمان والأعرق في النفي بالتأكيد بالباء)

الأساليب الإنشائية في القسم الثاني من السورة :

مثلة في القسم ،والاستفهام ،متضمنة أسراراً، ونكات بلاغية ، ومع أن القسم من الإنشاء غير الطلبي الذي لم يهتم به البلاغيون لأنه لم تتوارد عليه المعاني ،إلا أن صور القسم وما تنطوي عليه من إتقان فتوزيعها على مواقعها المختلفة ،وخاصة في القرآن الكريم لها موقعها الجدير بها في النظر البلاغي) [38]

وأسلوب القسم يأتي للتعظيم (فلا أقسم بالخنس) لا زائدة مؤكدة والمعنى: فأقسم بالخنس الجوار الكنس على تفسير النجوم التي تختفي نهاراً وتظهر بالليل وهذا يدل على شرف تلك النجوم ، (الثقوب السود)ومقدارها حسب الحقائق العلمية التي توصل إليها العلماء في العصر الحديث ،وأدركنا لماذا أقسم الله تعالى بها بيانا لعظم خلقها وآثارها النافعة وهذا من باب رد العجز على الصدر ففي صدر السورة الكريمة ذكر النجوم، وفي القسم الثاني منها يقسم بها فينبغي على المخاطب أن يفكر فيها ،ويعتبر بها ،و يتدبر أمرها، أجمع علماء اللغة في معاجمهم والمفسرون في تفاسيرهم، على أن الخنس : النجوم التي تختفي، وهي من الخنس الذي يدل على الاستخفاء والتستر، والذهاب في خفية ، ومنهم من ذكر أنها الكواكب التي تخنس بالنهار، وقيل :الخنس هي: زحل، والمشتري ،والمريخ لأنها تخنس في مجراها) [39]

وملاحظ أن أغلبهم قد خلط بين النجوم والكواكب، وقد فصل علماء الفلك القول بالتفريق بين النجم، والكوكب ، والنجم جسم سماوي متلألئ يشع طاقة ذاتيا كما قال مفسرو القرآن من قبل ظهور العلم الحديث، بينما الكوكب جسم سماوي ثابت الإضاءة يعكس الأشعة التي يتلقاها من النجوم والشمس، وينطبق هذا على التوابع الطبيعية للكواكب) [40]

وفي تفسير الطبري: الخنس الجواري الكنس، قيل الظباء، وقيل الكنس البقر الوحشي والجواري: الجارية في أفلاكها "المر السريع "

والكنس: من كنس الذي يدل على سفر الشيء عن وجهه، وهو كشفه والأصل الآخر يدل على الاستخفاء،

[41]

فالأول من كنس البيت وهو: سفر التراب عن وجه أرضه، والمكنسة آلة الكنس، والثاني: (الكناس) وهو بيت الظبي، والكناس: الظبي يدخل كناسه، فالكنس إما جمع كناس (أي قائم بالكنس أو مختف من (كنس الظبي) أي دخل كناسه

ويقطع د زغلول أنهما من الكنس - وهي صيغة منتهى الجموع للفظه (كانس) أي قائم بعملية الكنس وجمعها كانسون، ويستبعد المعنى الثاني - وهو المنزوية المختفية، وفي الموسوعة الكبرى خنس في اللغة: اختبأ واختفى، وهي صيغة مبالغة تعني أجرام سماوية مبالغ في اختفائها وهي الثقوب السوداء حالة من النجوم العملاقة تتركز في قلب المجرات، وتعتبر مراكز ثقل للمجرات وهي حالة كثيفة لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها تتكدس فيها المادة بحيث تتلاشى المسافات البينية، فإذا تلاشت المسافات بين اللبنة الأساسية للذرة تضائل حجمها تضائلا شديدا حتى لا تكاد تدرك، وبتكدس المادة في داخل النجم العملاق تصبح له جاذبية فوق التصور تحول دون انفلات الضوء منه، وحينئذ يختفي هو ومركز ثقل المجرة لأن كل ما في المجرة من أجرام تترايط بجاذبية الثقب الأسود كمركز للنقل بها، ولكي يتكون الثقب الأسود لا بد وأن تنضغط كتلته وهي تعادل السرعة الكونية أو سرعة الضوء .

أما جمهور المفسرين فقالوا: إن من معاني الآية ؛ أقسم قسما مؤكدا بالنجوم المضئية المختفية بالنهار، وتظهر ليلا، لكن التفسير الأول ينطبق مع الحقيقة الكونية المبهرة التي تمثل مرحلة خطيرة من مراحل حياة النجوم يسميها علماء الفلك المسلمون (الثقوب السوداء) وهي لم تكتشف إلا في أواخر القرن العشرين، ويرى بعض الفلكيين المسلمين أن هذه النجوم الخنس ، والكنس هي المذنبات ووجه الشبه الذي استندوا عليه هو أن المذنب يقضي فترة تتراوح بين عدة أيام وعدة شهور مجاورا الشمس في زيارة خاطفة فيظهر لنا بوضوح وجلاء ولكنه يقضي معظم فترة دورانه بعيدا عن الشمس ، فيختفي عنا تماما ويستتر - فإذا ما اقترب من الشمس ظهر لنا وبان ولكن سرعان ما يقفل راجعا حتى يختفي تماما عن الأنظار، واعتبروا ذلك هو الخنوس، لكن الوصف القرآني بالخنس يعني الاختفاء الكامل ولا يعني الظهور والخفاء. [42] وهذه المرحلة التي يطلق عليها العلماء بالثقب الأسود هي سرمن أسرار الكون الذي وقف أمامه العلماء في انبهار شديد وسماه د مصطفى محمود في إحدى حلقاته (باللغز الفلكي)

وصيغة القسم هذه قد سبقت أيضا في سورة الواقعة "فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه قسم لوتعلمون عظيم " ولا زائدة مؤكدة للقسم، ويشير صاحب نظم الدرر إشارة لطيفة في نفي القسم (ولما كانت هذه الأشياء لولاها ما طاب لهم العيش ولا تهنأ بحياة، وهي من الفضل بحيث لا يعلمه إلا خالقها تصغر أن يقسم بها شيء من القرآن لما له من عظيم الشأن الذي لا يطبق التعبير عنه البيان، قال مجيبا لذلك إخبارا عما هو محقق في نفس الأمر، أعظم من تحقق هذه الأشياء المقسم بها هنا إلى مصالح الدارين أكثر من هدايتها وعظم سفههم بعد الإقسام بثلاثة أقسام، فإن نفي الإقسام مع بيان أن

المقسم عليه أعظم منها) وقد اختصر ذلك صاحب الجواهر في وجهين أحدهما (أن الله تعالى يقول :أنا لا أقسم لأن الأمر واضح فلا حاجة للقسم ،لو أقسم ،ولا مزيدة للتأكيد ،والثاني : القسم ،وكلا الوجهين دل على شرف النجوم [43]

وهنا ملمح هام لا بد من التنبيه له ، فإن صيغة القسم هذه قد تكررت مرتين في سورة الواقعة ، وجاء بعدها جواب القسم مؤكدا على أن القرآن تنزيل رب العالمين مع صونه ، وحفظه ، وطهارة من يمسه { فلا أقسم بمواقع النجوم ، إنه لقرآن كريم ، في كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون ، تنزيل من رب العالمين } ذاكرا أربع صفات للقرآن الكريم ، وسورة التكويد { فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ... ، إنه لقرآن كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين ، مطاع ثم أمين ، } ذاكرا صفات أربع للرسول المنزل عليه القرآن (سواء كان جبريل عليه السلام كما ذكر الجمهور أو محمد ﷺ) [44]

فالجامع بين القسمين ذكر القرآن بعد القسم بالنجوم أو مواقفها ، وذكر أبو حيان (قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم : هي نجوم القرآن التي أنزلت على رسول الله ، ويؤيد ذلك قوله : "إنه لقرآن كريم " فعاد الضمير على ما يفهم من قوله " بمواقع النجوم " أي نجوم القرآن وفي إقسامه تعالى بمواقع النجوم سرني تعظيم ذلك لا نعلمه نحن) [45]

وفي العصر الحديث توصلت الحقائق العلمية ، والاكتشافات الجديدة التي أبرزت تلك الأسرار العظيمة في القسم بالنجوم التي بمعرفتها يدرك الانسان عظمة الخالق وهو اللطيف الخبير ، وكأن الله عزوجل يقول للإنسان حين تصل معرفتك المحدودة إلى حقيقة النجوم التي تراها في السماء ستعلم حقيقة القرآن المعجز وتذكر جماله وجمال نظمه وتركيبه ونزوله مفصلا ، وتذكر بعض ما خفي عليك من أسرار كما أدركت عظمة الخالق في تركيب كونه بهذا الجمال والأناقة والإبداع مشاهد كونية إبداعية وتعبيرات أنيقة رشيقة ، ومن هنا كان لزاما علينا المزج بين الإعجازين العلمي والبلاغي ، وليس أدل على هذا الجمال والإبداع ، الانتقال من مشهد الهلع والخوف والروع الذي ألقى المهابة في النفوس إلى مشهد آخر مختلف تماما هدأت به النفوس وذهب عنها الروح مع الخفة في الألفاظ واختيارها ذات جرس وإيقاع ساهم في خفتها ورشاقتها وأبهرتها .

ولله در الإمام الخطابي وفي كلامه عن القرآن ما يؤكد هذا الملمح : (صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منشورا إذا قرع السمع خلص له القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق . تقشعر منه الجلود وتنزع له القلوب ، ويحول بين النفس ، وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها ، فكم من عدو لرسول ﷺ من رجال العرب ، وفتاكها أقبلا يريدون قتله فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم ، وأن يركنوا إلى مسالته ، ويدخلوا في دينه ، وصارت عداوتهم موالاة ، وكفرهم إيمانا " [46]

ومن أسرار القسم في السورة إبراز الأمور المعنوية في صورة المحسوس المشاهد أكدت على ذلك الدكتور بنت الشاطيء ، وذكرت أن (القسم أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدرجات الحسية ، وما يلمح فيه من الإعظام ، إنما يقصد به إلى قوة اللفظ . واختيار المقسم به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف وحين نتبع أقسام القرآن في مثل "والضحى" نجد لها لفتة إلى صورة مادية مدركة ، وواقع مشهود توطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة غير مشهودة ولا مدركة بما يري فيها من بماري ، وفي مثل "والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس" - يجلو معاني من الهدى والحق أو الضلال والباطل بماديات من النور والظلمة ، والبيان للمعنوي بالحسي وهو الذي يمكن أن تعرضه على أقسام القرآن بالواو فتقبلها دون تكلف أو قسر بالتأويل [47]

والليل والنهار آيتان كونيتان هما نتيجة لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، لأن في ذلك استقامة الحياة على الأرض وعونا للإنسان على تحديد الزمن والتأريخ للأحداث المتتالية ، ولأنه وبدون هذا التبادل بين الليل المظلم والنهار المنير ، تتوقف الحياة على الأرض فهما آيتان تشهدان على انتظام دوران الأرض حول محورها أمام الشمس ، وبهذا التبادل بينهما يتم التحكم في توزيع ما يصل إليها من الطاقة الشمسية ، وبالتالي ما يعين على التحكم في درجات الحرارة ، والرطوبة ، وكميات النور والظلام في مختلف البيئات الأرضية ، ودورة الماء بين الأرض والسماء وتوزيع نزول المطر كما تتم دورة تعرية الصخور وتفتيتها كل هذا بتقدير من الله عز وجل [48]

أسلوب الاستفهام "فأين تذهبون" فلاستفهام في الآية مجازي الغرض منه التنبيه على الضلال والتعجيز والتوبيخ . وسيأتي شرح المعنى وبسطه لاحقا عند تناول مسألة القصر وذلك خوف التكرار .

سادساً، تنوع الأساليب في السورة بين التعريف والتنكير :

التعريف: والتعريف في الآيات تعريف للمسند إليه بأل التعريف ، والمراد منه الإشارة إلى نفس الحقيقة وتسمى لام

الحقيقة أو لام الجنس وهي التي يكون مدخولها مراداً به الحقيقة نفسها [49]

التنكير: ويأتي المسند إليه نكرة لإفادة أنه غير معين من أفراد جنسه أو لإفادة النوعية أو التعظيم أو التحقير أو التقليل

أو التنكير [50]

1- وتنكير (نفس) للعموم أي (تعم في الإثبات من حيث المعنى ما أحضرت من خير تدخل به الجنة أو من شر تدخل

به النار ، وقال ابن عطية الأفراد لينبه الذهن على حقارة المرء الواحد وقلة دفاعه عن نفسه) [51]

2- كريم: التعظيم والتشريف . 3- ضنين : لإفادة النوعية (أي نوع من الضن أي البخل في التبليغ)

4- مجنون : لإفادة النوعية

5- تنكير (ذكر) للتعظيم أي تذكرو وموعظة عظيمة أو التخصيص لمن شاء الاستقامة

سابعاً ، تنوع الصور في السورة بين الحقيقة والمجاز : وهذا يدل على دقة ألفاظ القرآن

الاستعارات في السورة :

1- الشمس كورت ، وإجراء الاستعارة كما يلي : فقد شبه ذهاب ضوء الشمس بتكوير العمامة بجامع الاختفاء والحو في كل ، (قال أبو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة ، تلف فتمحى) [52]

وهذه استعارة تصريحية تبعية في الفعل واستعار المشبه به للمشبه وحذفه بعد أن اشتق من التكوير كورت ، وعند التأمل في الاستعارة يتبين لنا الدقة في الوصف والتفصيل بين طرفيها واكتمال أركان الصورة من الحركة في لف قطعة القماش حول العمامة واللون في كل من الشمس والعمامة والاختفاء أخيراً مع التدرج في كل ، كما تبين من خلالها أيضاً تقريب وتوضيح الأمر الغيبي للمخاطب الأمي البسيط حين نزول القرآن ، بالتشبيه بأمر محسوس مشاهد يفعله بنفسه بصفة شبه يومية وهو لف العمامة وهانحن في عصرنا الحديث ندرك قيمة هذا التشبيه الدقيق مع بيان العلم هذه العملية وكيف تنتهي حياة هذا النجم العادي وهي أهم نجم بالنسبة لنا نحن سكان الكوكب الأرضي الصغير الذي يعيش على ضوئها وحرارتها وجاذبيتها ، وكيف تتم بحسبان دقيق شرحه لنا علماء الفلك كما سبق توضيحه ، ولكن ما يلفت الانتباه في الاستعارة المبينة على التشبيه وتقريب هذا الأمر البعيد على فهم العقول وقت نزول القرآن ومحاطبتهم بما يفهمون ويعرفون ويشاهدون .

2- الجبال سirt أيضاً استعارة تصريحية تبعية في الفعل شبه انتقال الجبال من أماكنها الراسخة الثابتة فيها بسير الدابة التي تتحرك وتنتقل من مكان إلى آخر على ظهر الأرض سعياً حثيثاً ، وفي هذه الاستعارة يتبين لنا دقة الوصف والتصوير فهذه الجبال الرواسي التي خلقت لوظيفة هامة لكوكب الأرض لم يدركها الإنسان إلا في العصر الحديث ، وهو حفظ الأرض عند دورانها حول محورها يومياً هي التي تنتقل وتدور كما تدور الدواب وتنتقل على ظهر الأرض وهي صورة على خلاف العادة .

3- وإذا السماء كَشِطت: نزعاً وجذبت ثم طويت ، وقيل: قشرت من كشط جلد الشاة بمعنى سلخها ، وفي مفردات الراغب : هو من كشط الناقة أي تنحية الجلد عنها ومنه : استعير انكشط روعة .

وهناك تفسير آخر بمعنى أزيلت وعليه أغلب التفاسير: [53]

السماء لغة : اسم كل ما علانا ، وارتفع فوق رؤوسنا تبدأ بغلاف الأرض الجوي ، وتشير سورة الأنبياء إلى القبة الزرقاء تلك الظاهرة التي نراها فوق رؤوسنا في أثناء النهار التي تحدث في غلاف الأرض الجوي بسبب تشتت أو تناثر أشعة الشمس الزرقاء فيه بوفرة وغزارة دون سائر الأشعة الأخرى ، وبخاصة من الطبقات السفلى الذي ترسله الشمس ضمن حزمة الضوء الشمسية التي تحمل اللون الأزرق والأحمر والأصفر والأخضر ، والبنفسجي ، والبرتقالي ، وهي ألوان الطيف التي نشاهدها في قوس قزح ، ولكن أغزرها اللون الأزرق ، أما القبة التي تبدو ليلاً مرصعة بالنجوم صورة ظاهرية لا تمثل الحقيقة والواقع ، كما أثبتت الدراسات العلمية أن السماء في معناها العلمي الواقعي هي كل ما يحيط بالأرض من جميع

أقطارها ابتداءً من الغلاف الجوي الذي يرتفع بنحو 300 كم فوق سطح الأرض، وكأنه يجرف الهواء حول الكرة الأرضية وبعد يعد فراغ كوني تسبح فيه الملايين من الأجرام السماوية وفي أعماقه السحيقة، وهي تتجاذب فيما بينها في تماسك واتزان طبقة بعد طبقة وكأنها البنيان المحكم، ويحتوي هذا السقف على بخار الماء تثير الرياح السحب ويحدث التكاثف لكي تجود السماء بالمطر الذي هو مصدر المياه العذبة على الأرض، وهو غير مخزون ولكنه دورة بين السماء والأرض ... ولو أن سقف الأرض صلباً لأصبح أهل الأرض داخل شيء أشبه بالصندوق المقفّل لا يرون الشمس والقمر والنجوم والكواكب ولا الكون الفسيح [54]

كما أثبت العلم أن السماء بناء محكم تملؤه المادة والطاقة وبعد نجاح الإنسان في ريادة الفضاء منذ مطلع الستينيات من القرن العشرين فوجيء بحقيقة أن الكون يغشاها الظلام الدامس في غالبية أجزائه وأن حزام النهار في نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس لا يتعدى سمكه 200 كم وإذا ارتفع الإنسان فوق ذلك فإنه يرى الشمس قرصاً أصفر في صفحة سوداء حالكة السواد لا يقطع حلوكه سوادها إلا بعض البقع الباهتة الزرقاء في مواقع النجوم ... فالجزء الذي يتجلى فيه النهار محدود في طوله وعرضه بنصف مساحة الكرة وفي سمكه 200 كم في حركة دائمة مرتبطة بدوران الأرض، والمسافة بين السماء والأرض في حدود 150 مليون كيلومتر [55].

وفهم من التعبير عن إزالة السماء والسقف المرفوع فوقنا (بالكشط) أنها طبقات طبقة بعد طبقة ولو بحثنا عن لفظة مرادفة لها لتؤدي معناها ما استطعنا وخاصة بعد العلم بهذه الحقائق العلمية الدقيقة ولو قلنا (وإذ السماء أزيلت أو محيت أو نزع أو جذبت لما أدت مؤداها وما أفادت مفادها وما أثرت تأثيرها فالكشط لا يكون إلا في سلخ الجلد الذي هو طبقة خارجية لجسم الحيوان بعد ذبحه وانقضاء حياته فهذه اللفظة تصب في الغرض العام للمقطع الأول في السورة وهو الإفناء والانقضاء التام لكل ما في الكون، وهذا ما يميزه النظم القرآني أنه يختار اللفظة ذات الموقع الخاص المؤدية للمعنى الذي لا تؤدي مرادفتها في السياق والنظم.

(الكشط النزاع عن شدة النزاع) وقيل نزع بقوة عظيمة وأزيلت عن مكانها التي هي ساترة له ومحيطه به كما يكشف الإهاب عما هو سائر له ومحيط به) استعارة تصريحية تبعية شبه إزالة صفحة السماء الزرقاء من فوق الرؤوس وطبها، بكشط جلد الشاة وتقشيرها بجامع الانقضاء لدور كل منهما وفي هذا التشبيه من تشبيه المحسوس بالمحسوس لتقريبه وتوضيحه وبيان ماسيؤول إليه من نهاية، فلكل خلق عظيم نهاية هذه السماء المرفوعة بغير عمد لا نرى فيها من فطور، هذا مصيرها في يد الخالق كمصير الشاة في يد الذابح وهنا يتذكر قوله تعالى "هذا خلق الله فأروني ما ذا خلق الذين من دونه" وهاهو ينهيه كما بدأه "فقال لها وللأرض إيتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ليس أمامهم إلا الطاعة في الأولى والآخرة. ونشير هنا إلى دقة تعبير القرآن في اختيار الألفاظ المناسبة للمعنى المراد تصويره فقد اختار لفظة "كشط" ولم يقل

نزعت أو محيت أو أزيلت أو جذبت) مرادفاتهما ولكن إكمالاً لمشهد الترويع والتخويف إضافة لتصوير عملية البطء في الكشط، و زيادة في إدخال الملح في القلوب وأيضاً مناسبة ذلك للمخاطبين وبيئتهم .

**** الخنس والكنس حقيقة :**

سبق تفسير الكنس والخنس، إما على سبيل استعارة الظباء أو البقر الوحشي للنجوم والكواكب أو على سبيل الحقيقة المقصود البقر الوحشي أو الظباء التي تختفي في مكانها، وذلك مناسب ذكره خاصة مع سبق ذكر الوحوش "وإذا الوحوش حشرت ، و(يقول الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب إن الله تعالى أقسم بأشياء تنس أحياناً أي تغيب، وتجري أحياناً وتكس أخرى - والمكانس عند العرب هي المواضع التي تأوي إليها بقر الوحش والظباء... فالكناس في كلام العرب ما وصفت ، وغير منكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء، فالصواب أن يعم بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحياناً، والجري أخرى ، والكنوس بآنات على ما وصف جل ثناؤه من صفتها) [56]

وقد ذكر في معظم التفاسير أنه استعار البقر أو الظباء المختلفة للنجوم (وهذه الصفات أريد بها صفات مجازية لأن الجمهور على أن المراد بموصوفاتها الكواكب) ، لكن وبعد الاطلاع على الحقائق العلمية في العصر الحديث أنه يوجد نوع من النجوم والتي سميت بالثقوب السوداء وقد اتضح الأمر أن من صفاتها كنس صفحة السماء فالأمر ليس له علاقة بالظهور والاختفاء فهي موجودة بصفة مستمرة وهذا بالفعل هو مسماها في الكتب العلمية للعلماء الأجانب الذين توصلوا لهذه الحقيقة العلمية، ويكون الأمر على الحقيقة لا المجاز، ويؤيد ذلك ما أكدته العلم الحديث في أن الرق في السموات والأرض في قوله تعالى "كانتا رقاً ففتقناها" على سبيل الحقيقة لا المجاز بعد أن فسرها البعض على أن الرق مجاز عن العدم، والفتق مجاز عن الإيجاد والظهور وهذا ما أكد عليه د سعد صالح في الضوابط التي وضعها ليلتزم بها من يقوم بالتفسير العلمي للقرآن وأن لا يكونوا من المغالين في فهم الآيات (لا ينبغي في فهم الآيات الكونية من القرآن أن تعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة التي تمنع من إجراء اللفظ على ظاهره، ويلاحظ أن مخالفة هذه القاعدة أدت إلى كثير من الآراء الخاطئة في التفسير) [57]

وإذا كان الأمر على خلاف ما سبق النهي عنه فهو أولى كما هو الحال في الآية الكريمة فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فسرها العلماء أنها على سبيل الاستعارة وذلك مبلغ علمهم في ذلك الوقت أما وقد توصلنا بالحقائق العلمية الحديثة إلى أن الكلام حقيقة لا مجاز فيجب أن نقره لأن الحقيقة أولى من المجاز في هذا المقام .

4- الصبح إذا تنفس استعارة مكنية شبه الصبح في ظهوره وشقه للظلام بإنسان يتنفس النسيم، وتنفس الصبح كما فسره ابن عطية استطار واتسع ضوؤه والحقيقة أن التعبير بالفعل (تنفس) له دلالة ودوره البارز في السياق العام للسورة فالكون في حركة دائبة ودورة مستمرة فالله يبدى فيه ويعيد، والنجوم الجوّاري تولد وتقوى ثم تنتهي ثم تتولد نجوم أخرى

تأخذ دورتها، والأرض تدور حول نفسها تثبتتها الجبال ، والليل يعقبه النهار والنهار يعقبه الليل وهكذا ، فبهذا الفعل تقرب وتبسيط لدورة الكون ، وتحدد حياته كما تتجدد حياة الحيوان بتنفسه النسيم فالتنفس دلالة على الحياة ، وعدم التنفس دلالة على الموت ، والله عزوجل يبعث الحياة في هذا الكون البديع الكبير كما يبعث الحياة لكل كائن حي على هذا الكوكب الصغير بالنسبة له .

ثامنا، المجاز العقلي : في قوله تعالى " وإذا المؤودة سئلت باي ذنب قتلت " وهو إسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي (تجد أن مسئولا قد أسند إلى ضمير العهد، وسئلت "أسندت إلى ضمير المؤودة والعهد لا يسأل بل المسئول صاحبه ، وقد أفاد التجوز في الإسناد كمال المبالغة في وجوب الالتزام بالعهد ، وشدة الوعيد والتهديد لمن يهد البنات)
تاسعا، أسلوب القصر :

في قوله تعالى "إن هو إلا ذكر للعالمين " قصر القرآن على كونه ذكر (وهو اسم يجمع كل معاني الدعاء والوعظ بحسن الأعمال والزجر والضلال) ، قصرا إضافيا ، وهو ما كان النفي فيه لبعض ما عدا المقصور عليه [58] وهذا رد على من يعترض قائلا : إن القرآن يشتمل أخبار الأمم والأنبياء السابقين ، والأخبار الغيبية ، والحقائق العلمية فكيف يقصر على كونه ذكرا فقط ؟ والإجابة أن القصر قصري ضايف وليس حقيقيا ، أي النفي فيه بالنسبة لصفة معينة وليس كل ما يتصف به القرآن ، ومن إعجاز القرآن البياني كيفية الارتباط بين بداية السورة ونهايتها ، فالحقائق الكونية في بدايتها ووسطها والتي توصل إليها علماء من غير المسلمين ، وكأن هذا الختام للسورة بالحديث عن القرآن الذي يشتمل على هذه الحقائق منذ أربعة عشر قرنا يخاطبهم "إنه لقرآن كريم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين " إشارة هامة أن القرآن كتاب هداية لكم وليس معجما علميا ، وبسبب اشتماله عليها كان هداية للعالمين ، ألا ترى لو ظل العلماء بعد أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه من علم وتقدم ، وقد تيقنوا تمام اليقين أن القرآن هو الحق ، وأن الدين عند الله الإسلام ، وظلوا على كفرهم ونكرانهم ، فإنهم رفضوا الذكر ، وسيظلون على ضلالهم وعجزهم مهما حققوا من نتائج وحقائق ، وكأن الخطاب في نهاية السورة "فأين تذهبون " للعالمين وينسحب على هؤلاء العلماء أيضا تنبيهها على تعجزهم و أنهم على الضلال إذا لم يؤمنوا بالله وبرسوله وكتاباه من بعدما رأوا الآيات . وصدق الرافعي حين يقول عن القرآن : إنه وجود لغوي مركب كل ما فيه على أن يبقى خالدا مع الإنسانية إذ يكون في إعجازه مشغلة العقل البياني في كل الأزمنة ، يأتي الجيل من الناس ويمضون وهو باق بحقائقه ينتظر الجيل الذي يخلفه ، كما أنه مشغلة الفكر الإنساني ([59]

عاشرا، الصور البديعية :

- المقابلة: بين (الجحيم سرعت والجنة أزلت) وهذا الأسلوب لغرض هام هو التهيب أولا والترغيب ثانيا (لما ذكر دار

البعاء ترهيبا أتبعه بدار المقربين ترغيبا) [60]

- بين الليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ، فالمطابق لليل النهار- وهذا مقابلة أمرين بأمرين ، لكن التعبير بالصبح له دلالة الأقوى في السياق لأن " في إقبال الصبح روح وحياة بعد الهمود والسكون في الليل " فالتقييد لكل منهما بحال معينة (الليل في حال إدباره 'على أن عسعس من ألفاظ الأضداد ، والصبح في حال إقباله معبرا عنهما بالفعل _عسعس -وتنفس -مكان الاسم ليدل على حدوث و تجدد المهمة اليومية لليل والنهار اللذين هما آية من آيات الله في كونه إلى قيام الساعة ، وهذا من مزايا النظم القرآني :التناسق بين العبارة والموضوع الذي يراد تقريره ، فالألفاظ في النظم يلائم بعضها بعضا وهي كلها متوجهة إلى الغرض المنشود ، واختيار المكان المناسب في الجملة القرآنية للكلمة المعبرة فيها ، مع الاهتمام بالإيقاع والانسجام في اللفظ والنغم

- رد العجز على الصدر : (والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس) ، وعرفه ابن أبي الإصبع أنه :عبارة عن كل كلام بين صدره ، وعجزه رابطة لفظية غالبا أو معنوية نادرا ،تحصل بهما الملاءمة والتوهم بين قسمي الكلام [61] فالرابطة بين صدر السورة وعجزها رابطة معنوية ،لأنهما أثران من آثار الشمس ولذلك أقسم بهما .
- التتميم والتكميل : في قوله تعالى : "مطاع ثم أمين "بقراءة الفتح وتشديد الميم ،وهو أن توفي المعنى حظه من الجودة وتعطيه نصيبه من الصحة ،ثم لا يغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده أولفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره [62]وهنا خاصية ومزية من مزايا النظم القرآني أنه : (يهتم بالإيقاع والانسجام في اللفظ والنغم) ، يأتي بالكلمة وتوضع في مكان معين من العبارة بحيث لو تغير وضعها تقدما أو تأخيرا أو حذف لاختل ذاك التناسق اللفظي وذاك الوزن الخاص ويؤكد ذلك ما ذهب إليه ابن أبي الإصبع في التتميم : أن تأتي في الكلام بكلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته أو صفاته ،ولفظه تام ،وإن كان في الموزون نقص وزنه مع نقص معناه فيكون الإتيان بها لتتميم الوزن والمعنى معا) وعرفه العلوي : بأنه عبارة عن تقييد الكلام بفضلة إما للمبالغة أو للصيانة عن احتمال الخطأ أو لتقويم الوزن) ، وكلمة (ثم) بالفتح ظرف زمان للبعيد و(ثم) بالضم حرف عطف يفيد التراخي ، وعلى القراءتين فإن إرداف الكلام بهذه الكلمة من باب التتميم وهي كلمة ، كما ذكر ابن النقيب ترفع اللبس ،وتقرر بها إلى الفهم ،وتقرر في النفس وهو في القرآن كثير)

- التذييل في قوله تعالى : "لمن شاء منكم أن يستقيم ،وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين " وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل علي معناها لإفادة التوكيد أو قطع الكلام بما يشتمل على معناه توكيدا لا محل له ([63]

الثاني عشر- من الأسرار البلاغية في الفواصل في السورة :

الفواصل القرآنية : حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام للمعاني ،وهي تابعة للمعاني بخلاف السجع ،فالمعاني تابعة للألفاظ

الفواصل القرآنية في المقطع: الأول في السورة تنتهي ببناء التأنيث الساكنة من قوله تعالى "إذا الشمس كورت إلى علمت نفس ما أحضرت "

المقطع الثاني: انتهاء الفاصلة بحرف السين الساكن "والليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس" ثم النون المفتوحة ، ويمكن السرفي السكون ،وهو في حد ذاته إعجاز في تماسك بنیان السورة والترابط بين الشكل والمضمون ،وكيف تصب الفاصلة في الغرض العام للسورة ،وهو الانقلاب الكوني ،والانتقال من الحركة في الكون إلى السكون بالأمر الإلهي (كن فيكون) . كما أنها تفيد تصوير الحالة النفسية والشعورية للنفس البشرية حين رؤية هذه الأحوال يوم القيامة وما يعتربها من السكون والهلع والخوف والتوقف عن الحركة فعند الصدمة يصاب الإنسان بالتوقف التام .

وقد قسم الزركشي الفواصل القرآنية ؛ تبعا لظهور الصلة بينها وبين ما سبقها من كلام إلى فواصل ظاهرة الصلة وفواصل خفية أو مشكلة وهذا يؤكد صحة ما ذهب إليه أن الفاصلة الساكنة تصب في الغرض العام للسورة وفي هذا المقام يصرح الرافعي أن أكثر ماتنتهي الفواصل بالنون والميم وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها أو بالمد ،فإن لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ،ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه ،وعلى أن ذلك لا يكون أكثر ما أنت واجده إلا في الجمل القصار،ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقة ،أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة [64]

وسورة التكوير تجمع بين ثلاثة أنواع من الفواصل التاء الساكنة والنون المددوفة بواو أو ياء لجمع المذكر السالم والأفعال الخمسة ،وقد استدل د محمد حسناوي أن هذا النوع من الفواصل تعبر عن غاية القرآن في مخاطبة مجموع البشر من مؤمنين ومشركين ومنافقين ،وقد قسم الفواصل لأنواع أربع ،الرابع منها هو تعلق الفواصل موسيقيا بمجموع من القرآن من وجهين هما : غلبة فواصل النون الساكنة المددوفة بواو أو ياء ،وغلبة الوقف على السكون على سائر الفواصل الأخرى ([65] وهنا يلتقي الإعجازان البلاغي والعلمي فقد تبين فيما قبل في الشرح السابق كيفية نهاية الكون وقد جاءت الفواصل القرآنية الساكنة لتسهم في إبراز المعنى ،واستمالة النفوس بإيقاع ،ونغم ألقى المهابة والروعة والراحة والهدوء على التوالي .

□ الخاتمة :

من فوائد الإعجاز العلمي والبلاغي: أنه يزيد المؤمن إيمانا ،ويعجز الإلحاد ويساعد المسلمين على السير في طريق العلم الذي قطع فيه غير المسلمين أشواطا بعيدة ،وفي هذا يقول الشيخ محمد الغزالي (أما نحن المسلمون سنحاسب حسابا عسيراً على تخلفنا الفاضح في العلوم الطبيعية فالإنسان يحتاج لكي يدافع عن الأقصى معرفة تمتد من الأرض إلى الشمس أين أعدوا كما أعدوا والتخلف جريمة كبقية الجرائم الربا- الزنا - الفرار يوم الزحف) .

ومما زادنا حسرة ومرارة أن العلم صار علم حمل لا علم عمل ، علم تعصب واختلاف كل يبحث عما يؤيد رأيه ووجهة نظره وما أكثرهم الباحثون والدارسون يؤيدون ويرجحون وماذا بعد ، تركنا الناس والجهل يفعل بهم ما يشاء لكن أين العاملون لكتاب الله يهبون هبة إبداع وتحديد لجذب القلوب والعقول لكتاب الله .

ولذلك أوصي أن يتناول الباحثون كتاب الله سورة سورة مع إبراز الإعجاز العلمي والبلاغي فيها . ستكون النتيجة مختلفة تماما، وقد وجدت أن العلماء الأفاضل الذين كتبوا في الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن شكر الله لهم جهودهم المباركة فقد انتفعت منها غاية النفع تناولوا الموضوع بصورة إجمالية لا يستطيع المرء متأنيا متعمقا في فهم الأسرار في السورة وبالتالي لم يكن على الدرجة المرجوة من التأثير وعلى العكس فإن التعايش مع السورة تعايشا تاما بداية ونهاية فالإدراك سيكون أعمق والتأثير سيكون أقوى .

أسأل الله العلي القدير القبول ، وأن يجعل هذا البحث في موازين الحسنات وأن يرفعني به الدرجات يوم القيامة .
الفقيرة لعفو ربها د/ جميلة السيد علي زيدان
أستاذ مساعد البلاغة والنقد جامعة طيبة - المدينة المنورة

حواشي و فهرس البحث:

- [1] الوجيز في التفسير لابن عطية 1951. والإتيان في علوم القرآن للسيوطي ص 166 والتحرير والتنوير 140/30
- [2] التحرير والتنوير 140 / 30 - والظلال سيد قطب 3836/6
- [3] المسند 27/2 - جامع الترمذي ك التفسير - مجمع الزوائد 134/7 - اختصار ابن كثير 482/4
- [4] صحيح البخاري ح 4654
- [5] إعجاز القرآن صلاح الخالدي ص 17 و فضل حسن عباس ص 10
- [6] التأصيل العلمي الزنداني موقع جامعة الإيمان ص 5
- [7] إعجاز القرآن صلاح الخالدي ص 17 و ص 112
- [8] الأرض في القرآن د زغلول النجار ص 20
- [9] انظر الله يتجلى في عصر العلم ص 171
- [10] فكرة إعجاز القرآن نعيم حمصي ص 259 [11] الأرض في القرآن ص 16
- [12] المعجزة والإعجاز د سعد صالح ص 6 نقلا عن الرافعي 113
- [13] إعجاز القرآن للخالدي ص 83-84 باختصار وهو منقول عن كتاب فكرة إعجاز القرآن لنعيم حمصي
- [14] ثلاث رسائل في الإعجاز ص 27

- [15] انظر دلائل الإعجاز 182 المفتاح للسكاكي 230 الإيضاح ص 70-دلالات التراكيب أبو موسى 178- علم المعاني فيود
- ص 155 المعاني عبدالفتاح لاشين ص 16
- [16] حلقة تليفزيونية يوتيوب (اللغز الفلكي د مصطفى محمود)
- [17] الإعجاز العلمي والإعجاز البلاغي فهد خليل زيد ص 175 وانظر السماء في القرآن دزغلول النجار ص 122
- [18] الله يتجلى في عصر العلم ص 171
- [19] انظر الطبري 131/24-ابن كثير 30،483-البحر المحيط 423/8-ابن عطية ص الدر المصون التحرير والتنوير 141/30 مختار الصحاح 242- المعجم الوسيط 804
- [20] حلقة اللغز الفلكي د مصطفى محمود
- [21] النبأ العظيم د عبدالله دراز ص 99 [22] الظلال 6
- [23] الأرض في القرآن النجار 225-228 الإعجاز العلمي د فهد زيد خليل ص 14-16 باختصار
- [24] الأرض في القرآن 191 وما بعدها [25] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ودلالات التراكيب ص
- [26] دلالات التراكيب 327 وثلاث رسائل في الإعجاز نُحْمَد خلف الله 77 والإعجاز البلاغي أبو موسى ص 214 الكشف 353/4 نقلا عن الدلالات أبو موسى 328 البرهان للزركشي ص 19
- [27] مفردات الراغب 704
- [28] شرح السعد على تصنيف الزنجاني ص 27 انظر السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه فائز عبدالمنعم نقلا عن موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة بوابة اللغة العربية
- [29] الإيضاح شرح المفصل تحقيق موسى العليبي 120/2 والتعريفات للجرجاني ص 280
- [30] نظم الدرر للبقاعي 276/21
- [31] الإعجاز البلاغي أبو موسى ص 62-64 باختصار
- [32] النبأ العظيم 110 وانظر في تعريف الإنجاز المعاني د/عبدالفتاح لاشين 254 علم المعاني بسيوني فيود ص 160
- [33] التحرير والتنوير 140/30 [34] النبأ العظيم 110
- [35] مغني اللبيب لابن هشام 108/1 والإنتقان للسيوطي 101/2 والتحرير والتنوير 140/30
- [36] نظم الدرر للبقاعي 278/21 [37] الظلال ج 6
- [38] دلالات التراكيب أبو موسى ص 197
- [39] مفردات الراغب ص 300 لسان العرب 207/10 مختار الصحاح 80 | المعجم الوسيط 259 | الطبري 24/156-157 | وابن عطية 1959 | والتحرير والتنوير 146/30 البحر المحيط 449/8 | الدر المصون 706
- [40] الإعجاز العلمي في القرآن والسنة د عبدالله المصلح وعبدالجواد الصاوي ص 175 ، إعجاز القرآن مصطفى مسلم ص 198
- [41] الطبري 24/15741

- [42] الموسوعة الكبرى ص 400 ومن آيات الإعجاز في القرآن دزغلول النجار الثقوب السوداء ص 262
- [43] نظم الدرر 282/21 ، الجواهر في تفسير القرآن طنطاوي جواهر 80/25
- [44] البحر المحيط 452/8
- [45] البحر المحيط 212/8-التحرير والتنوير 152/30
- [46] ثلاث رسائل في إعجاز القرآن 70 ، الإعجاز البلاغي أبو موسى ص 95
- [47] التفسير البياني بنت الشاطي 26-25/1
- [48] السماء في القرآن ص 228-229-230 ، الإعجاز العلمي في القرآن ، والإعجاز العلمي في القرآن والسنة 166
- [49] الإيضاح للقزويني 56 علم المعاني فيود 135
- [50] الإيضاح 59-58-57
- [51] الوجيز لابن عطية ص 1959 البحر المحيط 425/8-تتمة أضواء البيان محمد أمين الشنقيطي 40/9
- [52] مجاز القرآن لأبي عبيدة 287/2
- [53] الطبري 149/30، الدر المصون ص 705، مفردات الراغب 712 ، ابن عطية ص 1951 ، والتحرير والتنوير 142/30 البحر المحيط 425/8
- [54] الإعجاز العلمي د فهد زيد ص 49-50
- [55] الموسوعة العلمية في الإعجاز العلمي ص 167-168 [56] الطبري 157/24
- [57] المعجزة والإعجاز سعد صالح 171
- [58] من موضوعات سور القرآن عبد الحميد طهماز 390 علم المعاني فيود 71
- [59] إعجاز القرآن للرافعي 10
- [60] نظم الدرر 282 / 21
- [61] إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز النورسي نقلا عن إعجاز القرآن الفواصل د/ حسين نصار 117
- [62] نقلا عن الفواصل حسين نصار 118
- [63] الإيضاح للقزويني 194- التبيان في البيان الطيبي 233 علم المعاني عبدالفتاح لاشين 262 علم المعاني فيود 517
- [64] البرهان للزركشي 22-23 وانظر إعجاز القرآن للباقلاني 271 ، والمعجزة والإعجاز 105 إعجاز القرآن الرافعي 184
- [65] الفواصل حسين نصار 137.

قائمة مراجع البحث :

- 1-الإنتقان في علوم القرآن السيوطي ت طه سعد -المكتبة التوفيقية -مصر
- 2-الأرض في القرآن د/زغلول النجار طبعة أولى 2005م دار المعرفة بيروت لبنان
- 3-أسباب النزول أبوالحسن النيسابوري ت - السيد أحمد صقر مؤسسة علوم القرآن دمشق بيروت 1998م
- 4-إعجازالقرآن والبلاغة النبوية -الرافعي -ت عبدالله المنشاوي -مكتبة الإيمان مصر-ط أولى 1997
- 5-الإعجازالبياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق د عائشة بنت الشاطي ط دار المعارف
- 6-إعجاز القرآن الكريم د /فضل حسن عباس نسخة الكترونية بدي إف
- 7-إعجازالقرآن ودلائل مصدره الرباني د صلاح الخالدي ط دار إعمار ط أولى 2000م عمان -الأردن
- 8-الإعجاز البلاغي د/مُجد أبو موسى مكتبة وهبة -القاهرة 2006م
- 9- الإعجازالعلمي والبلاغي في القرآن د/فهد خليل زيد -دار النفائس ط -أولى 2008م عمان -الأردن
- 10-الإعجازالعلمي في القرآن والسنة د/عبدالله المصلح /د عبدالجواد الصاوي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي فهرسة مكتبةالملك فهد -جدة - 1429هـ د حسين نصار ط أولى مكتبة القاهرة 1999م
- 11-إعجاز القرآن الفواصل
- 12-الإمام البقاعي جهاده ومنهاج تأيله بلاغة القرآن د/محمود توفيق سعد الطبعة الأولى 1424هـ القاهرة
- 13-إيجاز البيان عن معاني القرآن محمود بن أبي الحسن النيسابوري ت-علي بن سليمان العبيد مكتبة التوبة ط أولى 1997م الرياض
- 14-الإيضاح في علوم البلاغة -الخطيب القزويني ت -مُجد الفاضلي -المكتبة العصرية -بيروت 2001م
- 15-البرهان في علوم القرآن الزركشي نسخة الكترونية بي دي إف
- 16-البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د مُجد أبو موسى -مكتبة وهبة القاهرة 1988م
- 17-التبيان في البيان -الطبي -دار البلاغة -ط أولى 1991م
- 18-التأصيل العلمي للإعجاز القرآني عبدالمجيد الزنادي موقع جامعة الإيمان على الشبكة العنكبوتية
- 19-تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشيخ مُجد الأمين الشنقيطي -دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ط-أولى 2000م
- 20-التعريفات للجرجاني ت-إبراهيم الإيباري -دارالريان للتراث-مصر
- 21-تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت-عادل أحمدجودة -دار الكتب العلمية -بيروت
- 22-تفسير التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر 1984م
- 23-التفسير البياني د عائشة بنت الشاطي -المكتبة الأدبية ط دار المعارف
- 24-تفسير الطبري لابن جرير الطبري ت عبدالله بن عبدالمحسن التركي ط دارعالم الكتب ط أولى الرياض 2003م
- 25-تيسيرالكريم الرحمن الشيخ عبدالرحمن السعدي -دار المدني -جدة -السعودية 1998م
- 26-تيسير العلي القدير لاختصارابن كثير -مُجد نسيب الرفاعي -مكتبة المعارف -الرياض-السعودية 1987م
- 27-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الخطابي -الرومي -عبدالقاهر-ت مُجدخلف الله أحمد -مُجدزغلول سلام ط ثالثة- دار المعارف
- 29-خصائص التراكيب د/مُجدأبو موسى مكتبة وهبة ط سابعة 2006م-القاهرة
- 30-الدر المصون في الكتاب المكنون -السمين الحلبي -ت -مُجد أحمد الخراط دار القلم -دمشق سوريا

- 31-دلائل الإعجاز عبدالقاهر الجرجاني تعليق الشيخ محمود شاكر نسخة الكترونية بي دي إف
- 32-دلالات د/مُحَمَّد أبوموسى مكتبة وهبة -القاهرة ط-رابعة 2008م
- 33-السماء في القرآن د زغلول النجار طبعة ثالثة دار المعرفة بيروت لبنان
- 34-شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك المكتبة العصرية بيروت لبنان 2011م
- 36-لسان العرب لابن منظور مؤسسة التاريخ العربي-دار إحياء التراث تعليق علي شيري ط ثالثة 1992م بيروت .
- 37-علم المعاني د بسيوني فيود ط مؤسسة المختار ط رابعة 2015م القاهرة
- 38-فكرة إعجاز القرآن من البعثة حتى عصرنا الحاضر/نعيم الحمصي مؤسسة الرسالة -بيروت لبنان ط ثالثة 1980م-1400هـ
- 39-في ظلال القرآن سيد قطب ط العاشرة دار الشرق بيروت لبنان - والقاهرة
- 40-القرآن العظيم مُحَمَّد الصادق عرجون ط دار القلم - دمشق - الدار الشامية بيروت ط ثالثة 1989م
- 41-المجازي اللغة والقرآن د عبدالعظيم المطعني ط أولى مكتبة وهبة القاهرة
- 42-مختار الصحاح مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي مكتبة ط 1995 م
- 44-المعاني في ضوء أساليب القرآن د عبدالفتاح لاشين ط رابعة دار الفكر العربي -القاهرة 1999م
- 45-المعجزة والإعجاز في القرآن الكريم د سعد الدين السيد صالح ط ثالثة 1993م مدار المعارف القاهرة
- 46-المعجم الوسيط - ط ثالثة - المكتبة الإسلامية استانبول -تركيا
- 47-مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري المصري ت-مُحَمَّد محي عبدالحميد ط أولى مكتبة العصرية بيروت
- 48-مفتاح العلوم للسكاكي تعليق نعيم زرزو دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط ثالثة 1987م
- 49-مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني ت صفوان عدنان دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت ط ثالثة 1997م
- 50-من موضوعات سور القرآن عبدالحميد طهماز ط أولى دار القلم دمشق -الدارالشامية بيروت 1998م
- 51-موسوعة الإعجازالعلمي في القرآن والسنة يوسف الحاج أحمد ط ثالثة مكتبة ابن حجر 2003م دمشق
- 52-النبأ العظيم د/مُحَمَّد عبدالله دراز مكتبة الفنون والآداب القاهرة 2014م
- 53-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ط دار الكتب بيروت
- 54- نظرية النظم عند الشيخ عبدالقاهر الجرجاني د نجاح الظهار طبعة أولى -مكتبة الرشد 1426هـ
- 56-الوجيز في التفسير لابن عطية نسخة بي دي إف الكترونية
- 57-وجوه جديدة من الإعجاز البياني في الآيات المحكمات د عمار ساسي ط أولى 2014م عالم الكتب الأردن
- 59- الله يتجلى في عصر العلم ترجمة د الدمرداش سرحان تعليق د جمال الفندي ط دار القلم بيروت لبنان.